شُبْهَاتُ الـمُسْتَشْرِقينَ حَولَ تَفسِيرِ قَصَصِ القُرْآنِ الكَرِيم
والتَّمثِيلُ مِنْ قِصَّةِ إِبْرَاهِيم(دِراسَةٌ نقديَّةٌ)

إعداد

د/ رَحْمَة أَحمَد عَبدُه آل أَحمَد

أُسْتَاذُ التَّفْسِير وَعُلُوم القُرآن المُسَاعِدُ

بكُليَّةِ العُلُومِ وَالآدَابِ بمَحَايل عَسِير

جَامِعَةُ المَلِكِ خَالدٍ، المَمْلَكَةُ العَرَبيَّة السُّعُودِيَّةُ

شُبْهَاتُ الـمُسْتَشْرِقِينَ حَولَ تَفسِيرِ قَصَصِ القُرْآنِ الكَرِيم والتَّمثِيلُ مِنْ قِصَّةِ إِبْرَاهِيم(دِراسَةٌ نقديَّةٌ)

رَحْمَة أَحمَد عَبدُهُ آل أَحمَد

قسم التَّفْسِيرِ وَعُلُوم القُرْآنِ ، بِكُلِيَّةِ العُلُومِ وَالادَابِ بمَحَايِلِ عَسِيرٍ، جَامِعَةُ المَلِكِ خَالِدٍ، المَمْلَكَةُ العَرَبِيَّة السُّعُودِيَّةُ.

البريد الإلكتروني : rabdoh@kku.edu.sa

الملخص:

يهدفُ هذا البحثُ المعنونُ بـ"شُبْهَات المُسْتَشْرِقينَ حَوْلَ قَصَصِ القُرْآنِ الكريمِ، والتَّمْثِيلُ مِن قصَّةِ إِبْرَاهِيم"، إلى أن يكون سلَّاحًا علميًّا في مواجهةِ الحروبِ الثّقافيَّةِ المتجدّدَةِ ضِدَّ الإسلَامِ؛ ولاسيّمَا الاستشراقُ البغيضُ، الذي اتّخذَ أَشْكَالًا مستحدثَةً مِن الطَّعْنِ للتَّجْريحِ تارةً، ونتيجةً لَسُوءُ الفَهْمِ تارةً أُخرى؛ فبَلَغَتْ تأثيرَاتُهُ أمداءً مترامِيةً، مع اختلافِ أَهْدَافِهَا ومُنطَلَقَاتِهَا؛ لِذَا جاء بحثي للتَّصَدِّي لِلرّدّ عنْ هَذِهِ الشُّبْهَاتِ، وتَفْنِيدِها، وقد انتخبتُ قِصَّةَ إبراهيم ﷺ للتَّمثِيلِ لدَوافعِ المستشرقينَ المتعصّبينَ وطَرَائِقِهم ونتائجِهم. ووجدتُ أنَّ ثمَّةَ شُبْهَةً يتمركزُ حولها هؤلاءِ المغرضُونَ، في شبُهَاتِهِم حَولَ قَصَصِ القُرْآنِ؛ ليصلُوا إلى أَنَّها من تأليفِ النّبيّ ﷺ، وكانَ هدفُهم التّشكيكُ في القرآنِ والإسلامِ والنُّبوّةِ. كما وجدتُ أنّ من أهمّ شبُهَاتِهِم اعتمادُهم على مصادر يهوديَّةٍ ونصرانيَّةٍ محرّفةٍ، وجَهلُهم باللُّغَةِ العربيَّةِ، وبأسْرَارِها الخاصَّةِ، وكانَ من أوائل شبُهَاتِهِم إثباتُ أَنَّ القُرْآنَ أَخْطَأَ حينَ جَعَلَ النَّصَارَى يتَّخِذُونَ مِن مَرْيَمَ إلهًا، وحينَ سمَّى والدَ مَرْيَم (عِمْرَانَ)، وقد انتهَوا في ذلكَ إلى أنّ النّبيّ ﷺ استقى قصصهِ من السّماعِ والقراءَةِ وإعمالِ الخيالِ في سردِهِ؛ لذا قمتُ بردِّ هذهِ الشبُّهةِ عقلًا ونقلًا بما لا يتركُ للمشتبهِ شبهةً. كما كان من شبُهَاتِهِم ادّعاؤهم أنَّ بالقَصِّ القرآنيّ أَخْطَاءً تَارِيخِيَّةً، وتحريفاتٍ في أسماءِ الشَّخْصِيَّاتِ والأَنْبِيَاءِ والرُّسُلِ، ومردُّ شبهاتهم؛ الجهلُ بطبيعَةِ الحياةِ العربيّةِ، وعاداتِ العربِ الاجتماعيَّةِ والأخلاقيَّةِ، كما كان لاعتمادهم على فهم العهدينِ القديمِ والجديدِ حجّةً على القصِّ القرآنِيّ . سببُ اختياري هذهِ القصَّةَ النَّبويَّةَ خاصَّةً أنَّها أكثرُ القصصِ دلالةً على طرائقِ شُبهاتِ المستشرقينَ ودوَافعِهِم، ونتائجهم بقِصّةِ إبراهيمﷺ؛ لأنَّ قصَّتَهُ هي النَّواةُ الثَّقَافِيَّةُ لقصصِ الأنبياءِ طُرًّا؛ وكانتْ أَهمُّ الشّبهاتِ حولها إنكارُهم الحنيفيَّةَ، والتّشكيك في عَلاقتهِ بإسماعيلَ ولدهِ في مكَّةَ، ونسبته إلى العقيدةِ اليَهُوديَّةِ.

الكَلِمَاتُ المفتاحيَّةُ: المستَشْرقُونَ، الشُّبُهات، القصصِ القرآنيّ، إبراهيم ﷺ.

The orientalists' suspicions about the stories of the Holy Qur'an
(And the representation is from the story of Abraham)

Rahma Ahmad Abduh Al Ahmad
Department of Interpretation and Qur'anic Sciences, College of Sciences and Arts in Mahayil Asir, King Khalid University, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: rabdoh@kku.edu.sa

Abstract :
This research, entitled "Orientalists' Doubts About the Stories of the Holy Qur'an and the Representation of the Story of Abraham," aims to be a scientific weapon in the face of the renewed cultural wars against Islam. Especially the hateful Orientalism, which took new forms of attack and insult at times, and as a result of misunderstanding at other times. Its influences extended over a long period of time, despite its different goals and starting points. Therefore, my research was aimed at responding to these suspicions and refuting them I chose the story of Abraham, peace be upon him, to represent the motives, methods, and results of the fanatical Orientalists. I found that there is a suspicion centered around by these biased people, in their suspicions about the stories of the Qur'an. To conclude that it was written by the Prophet, may God bless him and grant him peace, and their goal was to cast doubt on the Qur'an, Islam, and prophecy.

Keywords: Orientalists, Suspicions, Quranic stories, Abraham, Peace be upon him.

بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحيمِ

المُقَدِّمَةُ

الحَمْدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وأَشهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَريكَ لهُ، أَرْسلَ رَسُولهُ بالهُدَى ودِينِ الحقِّ ليُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ولَو كَرِهَ المشْركُونَ.

وأَشْهَدُ أَنَّ مُحمَّدًا رَسُولُ اللهِ، خَيرُ مبلِّغٍ عَنِ اللهِ وخَيرُ مُؤتمَنٍ، أَرْسَلَهُ بالدِّلائلِ الوَاضِحَةِ والحُجَجِ القَاطِعَةِ والبَرَاهِينِ السَّاطِعَةِ؛ فَبلَّغَ الرِّسالَةَ، وأَدَّى الأَمَانةَ، ونَصَحَ الأُمَّةَ، وكَشَفَ اللهُ بهِ الغُمَّةَ، وجَاهَدَ في سَبِيلِ اللهِ حتَّى أَتَاهُ اليَقينُ.

وبَعْدُ..

فَلَا شَكَّ أَنَّ خُصُومَ الإِسْلَامِ يُحارِبُونهُ بكلِّ سِلَاحٍ قَاصِدينَ القضَاءَ عليهِ؛ بنشرِ الأَكَاذِيبِ وإِلقاءِ الشُّبْهَاتِ حولَهُ، قالَ تَعَالَى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [1]، وهَذِهِ الحربُ الاعتقاديَّةُ الثَّقافيَّةُ الأَيدلُوجيَّةُ لَيستْ حَدِيثَةً، وَلَا وَلِيدَةَ اليَومِ؛ وإِنَّما هِيَ قَدِيمةٌ قِدَمَ الدِّينِ الحَنِيفِ؛فَمُنذُ ظُهُورِ الإِسْلَامِ، والصِّرَاعُ مُحتدِمٌ مُسْتَمِرٌّ، وَإِنْ كَانَ يَأْخُذُ أَشْكَالًا مُخْتَلِفَةً مِن حَيثُ الطَّعْنُ والتَّجْرِيحُ وَسُوءُ الفَهْمِ.

ومِن هَذهِ الحُرُوبِ ما نَجِدهُ للاِسْتِشْرَاقِ في وَجهِهِ القَبِيحِ، وإِنْ كُنَّا لانُنْكِرُ بعضَ نمَاذِجِهِ النَّادِرةِ المخلِصَةِ؛ لِذَا فقَدْ ظَلَّ لَهُ تأثيرَاتُهُ النَّافذَةُ القَوِيَّةُ في الفِكْرِ الإِسْلَامِيّ، بلِ العربيّ إيجابًا وسَلبًا؛ بحسبِ أَهْدَافِهِ ومُنطَلَقَاتِهِ؛ لِذَا

(١) سورة البقرة: الآية ٢١٧.

فَمِنَ الأَهَمِّيَّةِ بمكَانٍ ألَّا نَتَجَاهَلَ آثارَهُ، وألَّا نَكتَفِيَ بمجَرَّدِ الرَّفْضِ المريحِ؛ فَلَا بُدَّ لَنَا مِن مُواجهتِهِ بالبَحْثِ العِلْمِيّ الموضُوعيّ، ودَحْضِ شُبْهَاتِهِ بالنَّقْلِ والعَقْلِ، ومُحاولةِ طَرحِ الحُلُولِ المتاحَةِ والبَدَائِلِ المقترَحَةِ؛ فَالإسْتِشْرَاقُ مِن أَهَمِّ المَجَالَاتِ البَحْثِيَّةِ؛ لِذَا انحَازتِ البَاحِثَةُ مُحَاوَلَةَ التَّصَدِّي لِمَا يُثِيرُهُ مِنَ الشُّبْهَاتِ؛ وذَلِكَ بِدَحْضِ الافتِراءَاتِ، وتَفْنِيدِ الشُّبْهَاتِ، وفَضْحِ الأَسَالِيبِ والدَّسَائِسِ، وتَعْرِيةِ الأَهْدَافِ الخَبِيثَةِ، والأَطْمَاعِ الذَّمِيمَةِ لوَجْهِهِ القَبيحِ، وتَنبِيهِ المُسْلِمِينَ إلى خُطُورَتِها، وما ينجُمُ عَنْها مِنْ آثارٍ، وأَصْدَاءٍ، مَعَ القَفْزِ خُطْوةً إلَى الأَمَامِ في سَبِيلِ البَحثِ عَنِ الإجراءَاتِ التي يُمْكِنُ لأُمَّتِنا اتِّخاذُها لصَدِّ الغَزْوِ الفِكْرِيّ، الموجَّهِ مِنهُ، ومَنْ سَارَ عَلَى دَرْبِهِ ضِدَّ القَصَصِ القُرْآنِيّ.

ومِنْ أَخْطَرِ مَجَالَاتِه التَّشْكِيكُ في الثَّوَابِتِ الإِسْلَامِيَّةِ مِنَ القُرْآنِ والسُّنَّةِ النَّبويَّةِ؛ فَقَدْ عَمَدُوا إلى القَصَصِ القُرْآنِيّ، وأثارُوا حَولَهُ الشُّبْهَاتِ؛ لِامْتِصَاصِ رَحيقِ الإِسْلَامِ، وللنَّيلِ منهُ، والطَّعْنِ فيهِ، مِنْ أَجْلِ خَنْقِ الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ بِأَلْوَانٍ مُتَبَايِنَةٍ مِنَ التَّسَلُّلِ الفِكْرِيّ في شَتَّى المَجَالَاتِ الفِكْرِيّةِ والثَّقافيَّةِ والاجتِمَاعيَّةِ.

ويُمْكِنُ التَّصَدِّي لشُبْهَاتِ المُسْتَشْرِقينَ في هَذَا المَجَالِ مِنْ خِلَالِ الخُطَّةِ الآتِيَةِ التي تُحدِّدُ مَوضُوعَ الدِّرَاسَةِ، وتُبيّنُ أَسْبَابَ اِخْتِيَارِهِ، وأَهَمِّيَّتَهُ، وأَهْدَافَهُ، ومَنْهَجَهُ، وتَقْسِيمَهُ المُقترحَ، بالإِضَافَةِ إِلَى بَيَانِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنْ دِرَاسَاتٍ سَابِقَةٍ، وما تُضِيفُهُ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ إِلَى ما سَبقَهَا، وذَلِكَ كُلُّهُ عَلَى النَّحوِ الآتِي:

- **عُنْوَانُ الدِّرَاسَةِ، وإشكاليَّتُها البَحْثِيَّةُ:**

العُنْوَانُ المختَارُ هُو: "شُبْهَاتُ المُسْتَشْرِقينَ حَوْلَ قَصَصِ القُرْآنِ الكريمِ، والتَّمثِيلُ مِن قصَّةِ إِبْرَاهِيم"، ومنهُ يتَّضِحُ أَنَّ الإِشْكَالِيَّةَ البَحْثِيَّةَ التي أُعَالجُهَا إِشْكَالِيَّةٌ ذَاتُ أَبْعَادٍ ثَلَاثَةٍ، عَلَى النَّحوِ الآتي:

- **الأَوَّلُ:** بَيَانُ اِفتِراءَاتِ المُسْتَشْرِقينَ وشُبْهَاتِهِم وأَسَالِيبِهم، ودَوافِعِهم، وأَهْدَافِهِم في إِلقَاءِ الشُّبْهَاتِ حَولَ القَصَصِ القُرْآنِيّ، **الثَّانِي:** تحليلُ هَذِهِ

الافتراءاتِ والشُّبْهَاتِ، وتَفْنِيدِها والرَّدِّ عَلَيها مِنَ النَّقْلِ والعَقْلِ، مِصْدَاقًا؛ لقَولهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (١). **الثَّالِـثُ:** البُعْـدُ التَّطْبيقِـيُّ، أوِ التَّمثيلِـيّ الذي لا بُدَّ مِنـهُ، مِنَ خـلالِ قصَّـة من قَصـصِ الأَنْبياءِ، وقَدِ اِختَرتُ للتَّمْثِيلِ، قِصَّـةَ إبراهِيمَ عليه السلام، وإنْ درسَـهَا السَّابقُونَ، ولَكِنَّـهُ تمثيلٌ يَسْتلزمُهُ البَحثُ لتَكتَمِلُ مَنظُومَتُهُ البَحْثِ، ويَتمُّ لـهُ ما استَهْدَفَهُ بِعَونِ اللهِ وتَوفيقِهِ ومَشِيئَتِهِ.

- **أَسْبَابُ اِخْتِيَارِ المَوضُوعِ:**

دَفَعَنِي إِلَى اِخْتِيَارِ هَذَا الـمَوضُوعِ عدَّةُ أَسْبَابٍ؛ أَهمُّهَا مَا يَأْتِي:

أولًا: هذهِ القصَّةَ النَّبويَّةَ خاصَّةً أنَّها أكثرُ القصصِ دلالةً على طرائقِ شُبهاتِ المستشرقينَ، وشبهاتِهم في القصصِ القُرآنيّ؛ لأنَّها النَّواةُ الثَّقَافِيَّةُ لقصصِ الأنبياءِ طُرًّا.

ثَانيًا: ازديادُ ما نجدهُ مِنْ حَرْبٍ شَرِسَةٍ يَشنُّها المشَكِّكُونَ في الإِسْلَامِ للطَّعْنِ فيهِ، وقدْ زادَ مِن ضَرَاوَتِها التَّقنياتُ الاتِّصَالِيَّةُ الحديثةُ التي يَسَّرَتْ لهُم إِثَارَةَ شُبْهَاتِهم، وافتراءاتِهم، وضَلَالَاتِهم عَالميًّا؛ وهُوَ مَا يَعْني أنَّ الاِسْتِشْرَاقَ المعاصِرَ قَدْ صَارَ أنكَى؛ وهوما يَفرضُ عَلَى البَاحِثِينَ مُضَاعِفَةَ جُهُودِهِم في الرَّدِّ عَلَى ما يُثارُ مِن شُبْهَاتٍ افتِراءَاتٍ، والرَّدّ عَلَيهِم بما يُفحِمُهم ويُخرِسُهم، ويَردُّ كَيْدَهم إِلَى نُحورِهِم.

ثالثًا: شُبْهَاتُ الاِسْتِشْرَاقِ مُتَجَدِّدةٌ مُتطَوِّرةٌ، تَسْعَى إِلَى إِحْدَاثِ تَغيُّراتٍ جِذْرِيَّةٍ وعَمِيقَةٍ في الشَّخْصِيَّةِ الإِسْلَامِيَّة؛ وهُو ما يَسْتَوجِبُ أَنْ تَكُونَ دِرَاسَاتُنا مُتَجَدِّدةً ومُتطوّرةً أَيضًا، ومَوضُوعيَّةً في صَدِّ الشُّبْهَاتِ بالتَّحليلِ العِلْمِيّ لَهَا؛ ورَصدِ تَطوُّراتِها ومُسْتَجَدَّاتِها للتَّعرُّفِ الدَّقيقِ عَلَى طَبيعَتِهَا، ومَدَى خُطُورَتِها،

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٨.

وأَسَالِيبِها، وأَهْدَافِها، ولِاستِخلَاصِ آثارِها، ونتَائجِها في حَاضِرِ الأُمَّةِ، ومُسْتَقبَلِها مِن أَجلِ زيادةِ القُدرَةِ عَلَى مُوَاجَهَتِها، ومُقاومَتِها والتَّصَدِّي لَهَا بما يَحمِي كِيانَ الأُمَّةِ، ويَصُونُ لَهَا شَخصيَّتَها، ويَحفظُ لَها دِينَها، الذي هُوَ عِصْمَةُ أَمرِهَا.

رَابِعًا: أنَّ كثيرًا مِنْ هَذِهِ الشُّبْهَاتِ قَد لَاقَى آذَانًا مُصْغِيةً مِن بعضِ المُسْلِمِينَ الذين انحرفُوا عنِ الجادَّةِ.

خَامِسًا: مُواجَهَةُ الخطَرِ الدَّاهِمِ المتجَدّدِ مِنَ الِاسْتِشْرَاقِ المتطوّر بِخُبثِ أهَدَافِهِ ودَنَاءَةِ مَقْاصِدِهِ.

سَادِسًا: يمثّلُ الِاسْتِشْرَاقُ تحديًّا للإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ، ومِن ثَمَّ رَجَوتُ بهَذِهِ الدِّرَاسَةِ أَنْ تكُونَ بَرِيْئَةً مِن كُلِّ وُجُوهِ الانحِرافِ، ومَظَاهِرِ التَّغْرِيبِ التي انغَمَسَ فِيهَا بَعْضُ أَذْنابِ الغَرْبِ.

- **أَهَمِّيَّةُ المَوضُوعِ:**تَتْبعُ أَهَمِّيَّةُ مَوضُوعِ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ بالرّغم من كثرة الدّراسات حول الاستشراقِ عامَّةً مِن وُجُوهٍ مُتعَدِّدَةٍ، يُمْكِنُ إبرازُ أَهمِّهَا فِيمَا يَأْتِي:

أَوَّلًا: تُعَدُّ هَذِهِ الدِّرَاسَاتُ المتَجَدِّدَةُ مُوَاجَهَاتٍ متّصِلَةً، لا بُدَّ مِنهَا للتَّعامُلِ مَعَ الاستِشرَاقِ المبغِضِ مَعَ التَّطوُّراتِ التي ينتهجُها، والمتَغيِّراتِ المستَحدَثَةِ، والتَّحَدِّياتِ المثَارةِ في ظِلِّ النِّظَامِ العَالميّ الجدِيدِ، وما يَشهَدُهُ منْ ثَورةٍ معلُوماتيَّةٍ تِقنيَّةٍ، لا سيَّما تِقنيَةُ الاتِّصَالَاتِ التي سَهَّلَتْ تَرْوِيجَ الشُّبْهَاتِ ونَشْرَهَا.

ولا يُمْكِنُ للعَالمِ الإِسْلَامِيّ أَنْ ينأَى عَنْ هَذِهِ التَّطوُّراتِ والمتغَيّراتِ والتَّحَدِّياتِ، وإنَّما لابُدَّ أنْ يُواجِهَهَا بفِكْرِهِ المسْتَنِيرِ، المستَمَدِّ مِن شَرِيعَتِهِ الخاتِمةِ، المؤَهِّلَةِ لموَاكبَةِ كُلِّ المعْطَيَاتِ العَالميَّةِ الجدِيدَةِ، التي تُشَكِّلُ في جَوْهِرِها رَابِطَةً سَامِيَةً تَربطُ بينَ المُسْلِمِينَ، وتزودُ عَنهُم بكُلِّ الأَسْلِحَةِ المشرُوعَةِ، وفي مُقدِّمتِهَا سِلَاحُ البَحْثِ العِلْمِيّ.

ثانيًا: التَّصَدِّي لِرَدِّ شُبْهَاتِ الاستِشْراقِ ودَفْعَ افتِرَاءاتِهِ يُبرزُ الإِسْلَامَ في صُورتِهِ النَّاصِعَةِ، ويؤكِّدُ خُلُودَ شَرِيعتِهِ، وصَلَاحيّتها لِقِيَادةِ الإِنْسَانِيَّةِ في

كلِّ عَصْرٍ، وأنَّهَا قادرةٌ اليومَ عَلَى القيامِ بِدَوْرِها الرَّائدِ في تَسْييرِ دَفَّةِ البَشَرِيَّةِ، وأنَّها لا تَزالُ قَادِرةً عَلَى إِعْطَاءِ الكَثيرِ لهَذَا العَالمِ، الذي يَشْكُو مِنَ الخَوَاء الرُّوحِيّ، ويَتَعَطَّشُ إلى الإيمانِ واليَقينِ.

ثالثًا: ما أثَارَهُ الـمُسْتَشْرِقونَ وأَتْبَاعُهُم مِنْ شُبْهَاتٍ، تتَعلَّقُ بالقَصَصِ القُرْآنِيّ قدْ لاقَى هوًى في نُفُوسِ اللَّاهثينَ وَرَاءَ الشُّبْهَاتِ والكَارِهينَ للإِسْلَامِ.

رابعًا: تَسْتَمِدُّ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ أَهَمِّيَّتَهَا أَيضًا مِنْ أنَّها تَعْمَلُ عَلَى سَدِّ ثَغْرٍ مِنَ الثُّغُورِ التي يَسْهُلُ عَلَى أَعْدَاءِ الإِسْلَامِ مِنَ الـمُسْتَشْرِقينَ والمنَصِّرينَ ونَحوِهم مُهَاجمتُهُ، وتَمريرُ أَباطيلِهِم مِن خِلَالِهِ.

أَهْدَافُ الدِّرَاسَةِ:

– تَهدُفُ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ إِلَى مَا يَأْتِي:

أَوَّلًا: لَـمُّ الشَّتَاتِ الـمُتناثِرِ في ثنَايا الأَبحاثِ الـمُخْتَلِفَةِ وبطُونِ الكُتُبِ حَولَ الشُّبْهَاتِ التي أُثيرتْ عن القَصَصِ القُرْآنِيّ، وما يُردُّ بهِ عَلَى هَذِهِ الشُّبْهَاتِ منَ الكِتَابِ والسُّنةِ والمَعْقُولِ.

ثَانِيًا: هَتكُ الأَستَارِ التي يَلُوذُ بها الـمُسْتَشْرِقونَ، ويَتَخفَّونَ وراءَها للنَّيلِ منَ القَصَصِ القُرْآنِيّ، وفَضْحِ أَسَالِيبِهم وخِطَطِهِم في التَّشْكِيكِ في الدِّينِ الإِسْلَامِيّ الحَنيفِ.

ثَالِثًا: الوقوف مجدَّدًا عندَ أَبْرزِ مثيري الشّبهاتِ منَ الـمُسْتَشْرِقينَ ومَنْ تَلَقَّفَ دَعْوَاهُم ليَحْذَرَ الـمُسْلِمُونَ كَيدَهُم.

رابعًا: تَوجِيهُ رِسَالَةٍ إِلَى الـمُسْتَشْرِقينَ وأَبْواقِهم، تَعكِسُ لَهُم صَلَابَةَ الإِسْلَامِ، وقُوَّتَهُ، وتُبَيِّنُ لهُم أنَّ شُبْهَاتِهم الضَّاريةَ حولَ القَصَصِ القُرْآنِيّ، لا تَزيدُهُ إِلَّا قوَّةً وصَلابَةً في عُقُولِ أَبْنائِهِ المخْلَصِينَ ووجِدانِهِم ، الذينَ طلَّقُوا الدُّنْيَا، ولم تَجْرِفْهُم فِتْنَتُها، مُؤثِرينَ ما عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، فَهُوَ خَيرٌ وأَبقَى.

خَامِسًا: تَسْعَى هَذِهِ الدِّرَاسَةُ إِلَى أَنْ تَكُونَ لَبِنَةً تُضَافُ إِلَى صَرْحِ الجُهُودِ المبذُولةِ مِنَ البَاحِثينَ المخلِصِينَ؛ لكي تعيدَ للأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ صَحْوتَها، وتُبدِّدُ عَن أَبنَاءِ الإِسْلَامِ غَفْوَتهم، وتُرجِعُ إلى العَالمِ الإِسْلَامِيِّ

عِزَّتَهُ وقُوَّتَهُ، لمواجَهَةِ التَّحَدِّياتِ العَاتِيَةِ التي تَعْتَرِضُ مَسِيرتَهُ، وتُهَدِّدُ كيَانَهُ في الحاضِرِ والمسْتَقْبَلِ.

-الدِّرَاسَاتُ السَّابِقَةُ:

كثرتِ الدِّرَاسَاتُ حولَ الاِسْتِشْرَاقِ، كما تَتَعَدَّدَ الدِّرَاسَاتُ عَنِ الشُّبْهَاتِ التي تُثَارُ حَولَ قصصِ القُرْآنِ الكَرِيم، بما يصعبُ حصرُهُ هنا، ويتجلَّى بعضهُ في ثنايا البحثِ، وتتنوعُ هَذِهِ الدِّرَاسَاتُ بينَ صَغيرةٍ في الصُّحُفِ والمجلَّاتِ وكَبِيرةٍ في كُتُبٍ، ورَسائِلَ عِلْمِيَّةٍ، أو عَلَى صَفَحاتِ الشَّبكَة العنكَبُوتِيَّةِ والمكتبَاتِ الإلكترونيَّةِ، وما يُمْكِنُ ملاحظتُهُ عَلَيها أنَّ كلًّا منهَا يَحْصُرُ جُهدَهُ في بحث قضيَّةٍ بِعَينِها، أَو عِدَّة قضَايَا حَسبَ تخصُّصِهِ؛ وهوَ ما لنْ تخرجَ عَنهُ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ في مُحاولتِهَا مُعالجَةَ شُبهاتِ المُسْتَشْرِقينَ في القَصَصِ القُرْآنِيّ، ومَوقِفنَا مِنهُم.

ومن أبرز الدراسات السابقة المتعلقة بالبحث تعلقًا كبيرًا، دراسة بعنوان:

"شبهات المستشرقين حول قصص القرآن الكريم والرد عليها، دراسة وصفية تحليليَّة نقديَّة"، وهي أطروحة دكتوراه للباحث ناجي بن محمد بن مسفر وقدان، في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، نوقشت عام ١٤٣٧هـ.

وفي الفصل الثالث من هذه الأطروحة تحدث الباحث عن شبهات المستشرقين حول قصص القرآن الكريم، وكانت أول شبهة ذكرها، وحللها وناقشها، وردَّ عليها هي شبهة المستشرقين في قصة إبراهيم عليه السلام، وما تختلفُ فيهِ دراستي هذهِ عن أطروحةِ الباحِثِ أنَّ القِصَّةَ النَّبويَّةَ جاءتْ في أُطروحتهِ سريعةً مقتضبةً؛ لأنَّه سلكها ضمن مبحث من المباحث في بحثه الضّخم الذي تناول فيه كلّ قصصِ القُرآنِ الكَريمِ؛ فلم تنل حقّها من الرعاية والدّراسة، واكتفى فيها بما يشبهه مع القصص الأخرى لا ما يخصّها ويخصصها.

- **مَـنْهَجُ الدِّرَاسَـةِ:** تَقْتَضِـي طَبِيعَـةُ الدِّرَاسَـةِ الإفادةَ من عدَّةِ مَنَـاهِجَ بَحْثِيَّـةٍ، منها: المَنْهَجُ التَّحليليّ إلى جانبِ المَنْهَج الاِسْتِدْلَالِيّ، ثُمَّ المَنْهَج النَّقْدِيّ، فَقَدْ تتَّحِدُ هَذهِ المَنَاهِجُ في موطنٍ، ويَستقِلُّ أَحدُها في آخرَ.
- **التَقْسِيم المقترحُ للدِّرَاسَـةِ:** تـأتيَ فـي مُقَدِّمَـةٍ، وتمهيدٍ، ومبحثين، وخَاتمـةٍ عَلَى النَّحوِ الآتي:
- **المُقَدِّمَــةُ:** تَتَنَـاولُ تَحْدِيـدَ الموضُـوعِ، وبَيـانَ أَسْـبَابِ اِخْتِيَـارِهِ، وأَهَمِّيَّتَـهُ، وأَهْدَافَهُ ومَنْهَجَهُ.
- **التَّمْهِيـدُ:** يَشْـتَمِلُ عَلَـى بيـانِ مُفْـرَدَاتِ العُنْـوَانِ، وتَحْتَـهُ مَطْلَبَـانِ: الأَوَّلُ: تحديدُ مَفْهُومِ القِصَّـةِ فـي اللُّغَـةِ والاِصْطِلَاحِ، والثَّانِي: تَعْرِيفُ الاِسْتِشْرَاقِ لُغةً واِصْطِلَاحًا.

– تَحدِيدُ مَفْهُومِ القِصَّةِ في اللُّغَة والإِصْطِلَاحِ:

١/١– تَعْرِيف القِصَّةِ لُغَةً واِصْطِلَاحًا:

– الاِسْتِشْرَاقُ لُغةً واِصْطِلَاحًا:

المَبْحَثُ الأَوَّلُ:

شُبهَاتُ المُستشرقِينَ حولَ القصَّةِ القُرْآنِيَّةِ

١/١– القرآنُ الكريمُ واِفتِراءَاتُ الـمُسْتَشْرِقِينَ حَولَ القَصَصِ القُرْآنِـيِّ:

١/١/١– التَّعْرِيف بالقُرْآن الكَرِيم

١/٢– شُبْهَةُ الـمُسْتَشْرِقِينَ حَوْلَ قَصَصِ القُرْآنِ.

١/٢/٣– الرَّدُّ عَلَى الشُبْهَةِ الأَوَّلى:

١/٢/٤– الرَّدُّ عَلَى الشُبْهَةِ الثَّانيَةِ: (القُرْآنَ خلَطَ بين مَرْيَم أُم عِيسَى ومَرْيَم أُخْت هَارُون ومُوسَى)

١/٣– شُبْهَةُ اِسْتِقَاءِ القَصَصِ القُرْآنِيِّ مِنْ السَّابِقِينَ والرَّدُّ عليهِم

١/٤– الرَّدُّ عَلَى شُبْهَةِ جَيجرَ في أَسْبقيَّةِ اسمِ يَحيَى عليه السلام:

١/٥– الرَّدُّ عَلَى جولد تسيهر في ادِّعَاءاتهِ.

- المَبْحَثُ الثَّاني

المُستَشرِقُون وإعْجازُ القُرآنِ الكَرِيمِ

٢/١- طَبيعَةُ الرُّسُلِ:

٢/٢- التَّعْرِيفُ بِنَبيّ اللهِ إبْرَاهِيمَ عليه السلام.

٢/٢/٢- حَيَاتُهُ وبِيئَتُهُ:

٢/٣- الإمَامَةُ والنَّواةُ الثَّقَافِيَّةُ:

٢/٤- الحنيفيَّةُ وإنكارُ الوجودِ وشُبهةُ اليَهُوديَّةِ:

٢/٥- شُبهةُ التَّفاصيلِ لإنْكَارِ النُّبُوَّةِ الخاتمةِ:

- وخاتمة تضمُّ أهم نتائج البحث.

- ثبت المصادر والمراجع.

التَّمْهِيدُ:

- تَحدِيدُ مَفْهُومِ القِصَّةِ في اللُّغَةِ والإِصْطِلَاحِ:

إنَّ أوَّلَ ما تَعمدُ إليهِ البَاحِثَةُ هنا هُو أنْ تَقِفَ عَلَى حَقِيقةِ القَصِّ فيما يَخصُّ بحثَها ليزْدادَ الأمْرُ وُضُوحًا. والتَّعْرِيفُ بالشَّيءِ فرعٌ عَن تَصوُّرِهِ.

١/١- تَعْرِيف القِصَّةِ لُغَةً واِصْطِلَاحًا:

١/١/١- لُغَةً: القَصُّ في اللُّغَةِ تتبُّعُ الأثَرِ؛ وبهِ جَاءَ قولُهُ تَعَالَى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [١] ويُقَالُ: قَصَصتُ الشَّيءَ، إذَا تَتبَّعْتُ أثرَهُ شَيئًا بَعدَ شَيءٍ، ومنهُ قولُهُ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [٢]، أَي اتّبِعي أثرهُ، والقَصَصُ الأَخبَارُ المتتبعَةُ[٣]،والقِصَّةُ مَعْرُوفَةٌ، ويُقَالُ في رَأسِهِ قصَّةٌ؛ أي الجُمْلَةَ منَ الكَلَامِ ونَحوِهِ، والقاصُّ: الذي يأتي بالقِصَّةِ مِن قَصِّهَا، والقِصَّةُ الخبرُ والقَصَصُ، وقَصَّ عليَّ خبرَهُ يقصُّهُ قصًّا وقَصَصًا، والقَصَصُ الخبرُ المقْصُوصُ [٤]؛ لذا نَستَطيعُ القَولَ بأنَّ القِصَّةَ لُغَةً: تتبُّعُ الأثَرِ والسَّردُ.

١/١/٢- اِصْطِلَاحًا: اِختلَفَ العُلَمَاءُ في تَعْرِيفِهَا ومِن هَذِهِ التَعْرِيفاتِ: أنَّها أنباءٌ وأَحْدَاثٌ تَارِيخِيَّةٌ لم تَتَلَبَّسْ بِشَيءٍ مِنَ الخيالِ اشتملَ عَلَى الإثارةِ والتَّشويق[٥]، وقيلَ إنَّها أَخبارُ اللهِ عَمَّا حَدَثَ للأُممِ السَّابِقَةِ معَ رُسُلِهم، وما حَدَثَ بينَهم وبينَ بَعضِهِم، أو بينَهم وبينَ غيرِهم أَفرادًا وجماعاتٍ

---

(١) يُنْظَرُ: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ٤٠٥/٤، والآية من سورة يوسف ٣.

(٢) سورة القصص، الآية: ١١.

(٣) السابق نفسه.

(٤) يُنْظَرُ: ابن منظور، لسان العرب، ٣٦٥٠/٥، ٣٦٥١ .

(٥) الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ٩.

مِن كَائِنَاتٍ بَشَرِيَّةٍ، أو غير بَشَرِيَّة بِصِدْقٍ للهِدَايَةِ والعِبرَةِ[١]؛ وهَذَا هُو المقصُودُ بالقَصَصِ في القُرْآنِ الكَرِيمِ؛ وهُو ما يَقتفيهِ البَحثُ.

- **الإِسْتِشْرَاقُ لُغةً واِصْطِلَاحًا:**

٢/١ – لُغَةً: تَعُودُ بِدايةُ مُصْطَلَحِ «الاِسْتِشْرَاق» إلى القرنِ السَّابعَ عَشَرَ الميلادِيّ؛ حين أُطلِقَ لفْظُ «مُسْتَشْرِقٍ» عَلَى أحَدِ أعضَاءِ الكَنيسَةِ؛ فقَدْ وَصفَ «أنتوني وود» «صموئيلَ كلارك» بالاِسْتِشْرَاقيِّ؛ أي عَرَفَ بعضَ اللُّغاتِ الشَّرْقِيَّةِ، ثمَّ استخدمَ مُصْطَلَحُ مُسْتَشْرِق "orientalist" في الإنجليزيَّةِ في القَرنِ الثَّامِنَ عَشَرَ، وفي الفَرَنْسِيَّةِ بعد ذَلِكَ بعشرينَ عامًا، وأُدرَجَ مُصْطَلَحُ «الاِسْتِشْرَاق» "orientalism" في قامُوسِ الأكاديميَّةِ الفَرَنْسِيَّةِ في بِداياتِ القَرنِ العِشْرينَ[٢]؛ وهُوَ ما يَعْنِي: أنَّهُ مُصْطَلَحٌ أَجْنَبِيٌّ؛ ومِن ثَمَّ فَالنَّاظِرُ في مَعَاجِمِ العَرَبِيَّةِ لا يجدُ له ذكرًا؛ لكنَّهُ يصِلُ إلى دلالتِهِ من خِلَالِ بِنَائِهِ الصَّرفيّ الذي يَشِي بأنَّه مشتقٌّ من مادَّة "شَرَقَ"، التي تُشِيرُ إلى معاني: الطُّلوعِ، والشَّمسِ، والجهَةِ المقابلةِ للغَربِ؛فيقالُ: شَرقَتِ الشَّمسُ، أيْ: طلعَتْ، والقَومُ شَرَّقُوا، أي: ذَهَبُوا إلى الشَّرْقِ، أو أتَوا الشَّرْقَ، والشَّرْقُ: الشَّمسُ، واقعُدْ في الشَّرْقِ، أي في الشَّمسِ، والشُّروقُ: جهةُ شُرُوقِها [٣].

وقد زيدتِ الألفُ والسِّينُ والتَّاءُ إلى الفِعلِ «شَرَقَ» فَصَارَ «استَشْرقَ»، وجيء بالمصدر منه «اِسْتِشْرَاق» عَلَى وزن «استفعال»؛فَزِنةُ «اِسْتِشْرَاق» تدُلُّ عَلَى طَلَبِ عُلُومِ الشَّرْقِ؛ ولذَا جَاءَ أنَّ اِسْتِشْرَاقَ تَعنِي: «طلَبَ عُلُومِ

(١) بلبول، القصص القرآني، ٣٦.

(٢) يُنْظَرُ: رودنسون، تراث الإسْلَام، ٧٨/١، عبد اللطيف، ونافذة على الاستشراق، النشأة والأهداف،٥، ٦.

(٣) يُنْظَرُ: ابن منظور، لسان العرب،١٧٣/١، مادة (شرق)، و الفيومي ،المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير، ٤٢٢، مادة (شرق)؛ ومجمع اللُّغَة العربية، المعجم الوسيط (٢٩٩/١)؛ ومجمع اللُّغَة العربية، المعجم الوجيز، مادة (شرق).

الشَّـرْقِ ولُغـاتِهم... يُقَـالُ لمـن يُعنـى بـذَلِكَ مـن عُلَمَـاءِ الفِرنْجـةِ»[١]، ويـرَى رودي بـارت: الاِسْتِشْـرَاقَ "علْـمَ الشَّـرْقِ، أَو عِلـمَ العَـالِمِ الشَّـرْقيّ»[٢]؛وعَلَيـهِ، فَالـمُسْتَشْرِقُ «عالمٌ مُتمكِّنٌ منَ المعَارِفِ الخاصَّةِ بالشَّرْق ولُغَاتِهِ وآدابِهِ»[٣].

٢/٢- اِصْطِلَاحًا: مرَّ مَفْهُومُ الاِسْتِشْرَاقِ في الغربِ بعدَّةِ مَراحِلَ، فارتبطَ في بدايتِهِ بأَنْشطَةِ الكَنيسَةِ الشَّرْقِيَّةِ، وكانَ المُسْتَشْرِقُ أحدَ أعضَاءِ هَذِهِ الكنيسَةِ، ثمَّ تطوَّرَ؛ فَصَارَ يَعنِي التَّبحُّرَ في إِحدَى لُغَاتِ الشَّرْقِ[٤] وكُلّ ما يتَّصِلُ بهِ مِن عاداتٍ وتَقالِيدَ وتُراثٍ... إلخ؛ ومِن ثَمَّ صَارَ الغالبُ في استعمالِ الغربيّينَ لِمُصْطَلَحِ «الاِسْتِشْرَاق» إطلاقَهُ عَلَى الدِّرَاسَاتِ المتعَلِّقَةِ بالشَّرْقِ: شُعُوبِهِ، وتاريخِهِ، وأَدْيانِهِ، ولُغاتِهِ...إلخ[٥]؛ وهَذَا ما يظهرُ من تعاريفِ القواميسِ الغَرْبِيَّة للاِسْتِشْرَاقِ [٦].

ومـن ثـمَّ؛ فالاِسْتِشْـرَاقُ حَركَـةٌ عِلْمِيَّـةٌ نشَـأَتْ فـي الغَـربِ الأوروبـيّ، للإلمـامِ بأصـولِ الحضـاراتِ الشَّـرْقِيَّة عُمومًـا والإِسْـلَامِيَّةِ خاصَّـةً، فهـو لـيسَ مقصورًا عَلَى الإِسْلَامِ، بَلْ يَشْملُ الحَضَارَاتِ الوَاقعَةِ في الشَّرْقِ[٧]،وظلَّ يَتَّسِعُ

(١) رضا، معجم متن اللُّغَة، ٣/٣١٠.

(٢) الخربـوطليّ، المستشـرقون والتـاريخ الإِسْـلَاميّ، ١٢؛ بـارت، الدّراسـات العربيَّـة والإِسْلَاميَّة في الجامعاتِ الأَلْمَانِيّة،١١.

(٣) سـمايلوفتش، فلسـفة الاستشـراق وأثرهـا فـي الأدب العربـي المعاصـر، ١٠، رودي بارت: مُفكِّرٌ أَلْمَانِيٌّ مُعاصِرٌ.

(٤) يُنْظَرُ: بركات، الاستشراق والتَّربية، ٢٦.

(٥) يُنْظَرُ: السَّابق.

(٦) مفلـي، منـاهج البحـث فـي الإِسْـلَاميات لـدى المستشـرقين وعلمـاء الغـرب، ٣٩، العليـان، الاستشـراق بـين الإنصـاف والإجحـاف، ١٠، الصـغير، المستشـرقون والدّراسات القرآنية،١١.

(٧) يُنْظَـرُ: بـارت، الدراسـات العربيـة والإِسْـلَامية فـي الجامعـات الأَلْمَانِيّـة، ١١، ١٢، العليـان، الاستشـرق ، ١٠، ١١، آل سـعود، المستشـرقون وتوجيـه السياسـة التعليميـة في العالم العربي، ١٧، محمد، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، ١٠.

يَتَّسِعُ ليَشْمَلَ جميعَ الحضَاراتِ الشَّرْقِيَّةِ والمعتقدات؛ كالبوذيَّةِ التي تُعدُّ في الصَّميمِ منَ الحضَارَاتِ الشَّرْقِيَّةِ غيرِ الإِسْلَامِيَّةِ.

وعَلَى عَكْسِ المَفْهُوم الغَرْبِيّ، يَرِدُ مُصْطَلَحَ الاِسْتِشْرَاقِ في دِرَاسَاتِ المُسْلِمِينَ مقصُورًا عَلَى دِرَاسَةِ الشَّرْقِ الإِسْلَامِيّ؛ كما نَجدُ في قولِ مالكِ بن نبيّ: إنَّنَا نَعنِي بِالمُسْتَشْرِقينَ الكُتَّابَ الغَربيّينَ الذينَ يَكتبُونَ عَنِ الفِكرِ الإِسْلَامِيّ وعَن الحضَارَةِ الإِسْلَامِيَّةِ[1]؛ فيَقْصِرُهُ عَلَى دِرَاسَةِ الإِسْلَامِ، بوَصفِهِ الأكثر تَهديدًا للحَضَارةِ المَسِيحِيّةِ.

وفي ضَوءِ ذَلِكَ يُمْكِنُ القولُ بأنَّ الدَّلَالَةَ الاِصْطِلَاحيَّةَ العَرَبِيَّةَ للاِسْتِشْرَاقِ أَضيَقُ منَ الدَّلَالَةِ الاِصْطِلَاحيَّةِ الغَرْبِيَّةِ لهُ؛ فَإِذَا كانتِ الدَّلَالَةُ الغَرْبِيَّةُ تتَّسِعُ للدِرَاسَاتِ الشَّرْقِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ وغيرِ الإِسْلَامِيَّةِ، فإنَّ الدَّلَالَةَ العَرَبِيَّةَ تَنحصِرُ في الدِّرَاسَاتِ الشَّرْقِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ فَحَسبُ، وهَذَا أمرٌ طبعِيٌّ تُبرّرُهُ اهتماماتُ كلٍّ منهما؛ فالغَربُ لهم مصالحهُم وأَهْدَافهُم وغَاياتهُم التي توجِّهُهُم؛ وغاياتُ العربِ تُعْنَى في المقامِ الأَوَّلِ بموقِفِ المُسْتَشْرِقينَ من الإِسْلَامِ؛ ومِنْ ثَمَّ يتَّجهُونَ إلى دِرَاسَاتِهم التي تتناولُ الشَّرْقَ الإِسْلَامِيَّ دونَ سِواهُمْ.

ومن هنا أشارَ إدواردُ سعيد إلى ثلَاثِ دَلَالَاتٍ للاِسْتِشْرَاقِ؛ هيَ: أنَّهُ جامِعةٌ أكاديميَّةٌ، تَقومُ بتدْريسِ الشَّرْقِ أو الكِتابةِ عنهُ، أو البَحثِ فيه، أو أنَّهُ نمطٌ منَ الفكرِ القائمِ عَلَى تَمييزٍ وُجُودِيٍّ ومعرِفيٍّ بينَ الشَّرْقِ والغَربِ، وأخيرًا هُو أُسْلُوبٌ غَرْبِيٌّ، يهدفُ إلى السَّيطَرةِ عَلَى الشَّرْقِ وبَسْطِ السِّيَادةِ عَلَيهِ[2].

(١) يُنْظَرُ: ابن نبي ، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإِسْلَامي الحديث، ٧.

(٢) يُنْظَرُ: سعيد، الاستشراق، ٢١٤، ٢١٥؛ عدنان، الاستشراق والمستشرقون، ١٥، زقزوق، الاستشراق والخلفية للصّراع ،١١.

- **المَبْحَثُ الأَوَّلُ:**
- **شُبهَاتُ المُستشرقِينَ حولَ القصَّةِ القُرْآنِيَّةِ**

مُعْجِزَةُ القَصَصِ مِن أَوْجُهِ إِعْجَازِ القُرْآنِ الكَرِيمِ الذي أَنزلهُ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ محمد ﷺ ، فَلقَدْ قَصَّ أحسَنَ القَصَصِ عَن رُسُلِ اللهِ وأَنبيَائِهِ والأُمَمِ السَّابِقَةِ، وما كَانَ مِن حَوادِثَ وأَحْكَامٍ وشَرائعَ وطَاعاتٍ وعِصيانٍ وغَيرِ ذَلِكَ مِنَ القَصَصِ التي أَعْجَزَتِ أَهلَ الكتُبِ الذِين كَانُوا مُعَاصِرِينَ لِبَعثَةِ محمد ﷺ وأَثبتَتْ نُبوَّتهُ ودعَتهُم إلى تَصْدِيقِ رِسَالتهِ والإيمانِ بما جاءَ بهِ؛ كقولهِ تعالَى:﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤﴾[1]،وقولهِ تعالَى:﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٧٦ وَإِنَّهُۥ لَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٧٧ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُم بِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٨﴾[2].

ويحدِّثنا الباقلانيُّ عَن مُعْجِزَةِ القَصِّ في القُرْآنِيّ فيقولُ: «إِنَّهُ كَانَ معْلُومًا مِن حالِ النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ كانَ أُمِّيًّا لا يكتبُ، ولا يقرأُ، وكَذَلِكَ كانَ مَعرُوفًا منْ حالِهِ أَنَّهُ لمْ يكُنْ يعرفُ شَيئًا من كُتُبِ المتقدّمينَ وأقاصِيصِهم وأَنبائِهِم وسِيرِهِمْ، ثمَّ أتَى بجُملَةِ ما وقَعَ وحَدَثَ مِن عَظَمَاتِ الأُمُورِ ومَهمَّاتِ السَّيرِ مِن حِينِ خلقَ الله آدَمَ عليه السلام إلى حينِ مبعثِهِ، ... وإذَا كانَ مَعْرُوفًا أَنَّه لمْ يكُنْ ملَابِسًا لأَهلِ الآثارِ وحَمَلَةِ الأَخبارِ، ولا قَاصِدًا إلى التَّعَلُّمِ منهم، ولا

(١) سورة يوسف، الآيات: ١-٤.

(٢) سورة النمل، الآيات: ٧٦-٧٨.

كانَ ممَّنْ يقرأُ؛ فيجوزُ أنْ يَقعَ إليه كِتَابٌ؛ فيَأْخُذُ منهُ عِلْمُ مَا لمْ يَصِلْ إِلَى عِلْمِهِ وما ذَلِكَ إلَّا إِخْبَارٌ بالغَيبِ وتأييدٌ لهُ ﷺمن جِهةِ الوحي»[(١)].

إذًا؛ فَوَجْهُ الإِعْجَازِ القَصَصِيّ أَنَّهُ قَصَّ في شُمولٍ وكَمَالٍ أَخبَارَ كُلَّ ما خَلَقَ اللهُ مِنَ الخلَائقِ وكُلّ ما سَخَّر اللهُ للبَشَرِ مِن جَمَادٍ ونبَاتٍ وحَيَوانٍ وكلّ قَصَص الرُّسلِ والأَنْبِيَاء مِن خلقَ آدَمَ ﷺحتَّى بَعثَةِ نبيّنا محمد ﷺ. فإذَا قرأتَ القُرْآنَ الكَرِيمَ تجدهُ يقصُّ عليكَ خَلقَ العَرشِ، والسَّمواتِ، والأرضِ، والشَّمسِ والقَمَرِ، والنُّجُومِ، والجِبالِ، والبِحارِ، والأَنهارِ، وحَركَةِ الكَونِ، والمَلَائِكَةِ، والإنْسِ، والجِنّ...إلخ. ويقصُّ قَصَصَ الرُّسُلِ مِن آدمَ إلى نُوحٍ، وهُودٍ، وصَالِحٍ، وإبْرَاهِيمَ، وإسماعيلَ ،وشُعيبَ، ومُوسَى ، وإسحَاقَ ولُوطٍ ويَعقُوبَ وإلياسَ واليَسعَ، وداوُدَ وسُلَيْمانَ ولُقمَانَ ويُونُسَ وزَكَرِيَّا وَيَحيَى وعِيسَى وأَولَادِهِم وأقوامِهِم، ويُوسُفَ وإخوتِهِ، وأيُّوبَ الصَّابرِ وذِي الكِفلِ، وقصَّة مُوسَى والخَضْرِ... إلخ.

،كما يقصُّ مُعْجِزَات الرُّسلِ والأَنْبِيَاء التي أظهرَها اللهُ عَلَى أيديهِم لإثباتِ نبوّاتِهم وتصديقِ رسالاتهم.

وأرى إيجازَ وُجُوهِ الدَّلَالَةِ عَلَى اِعْجَازِ القَصَصِ القُرآنِيّ في كونِهِ ﷺ النَّبِيّ الأمِّي الذي لم يعرفِ القراءةَ ولا الكِتَابةَ قَبلَ بعْثَتِهِ أَخبرَ بكُلّ العُصُورِ بأدقّ المعلوماتِ وأوجزهَا، وأبلغِها، مع أنَّهُ لم يكنْ مُعَاصرًا لهَذِهِ القَصَصِ.

كما أنَّهُﷺ لم يُخالطْ في حيَاتِهِ قبلَ نُزولِ الوَحْيِ عُلَمَاءَ تاريخٍ، أو آثارٍ، أو رواةً لأخبارِ الأَزْمِنَةِ الماضِيَةِ، ولمْ يَصِلْهُ منْ أيّ بشَرٍ عِلمٌ أَو خَبرٌ من قَبلِ مَولدِهِ الشَّريفِ حتَّى بَعثْتِهِ؛ فقد كان يَشتغلُ في رَعْيِ الغنَمِ في مكَّةَ [(٢)]، وما قصَّهُ من أنباءِ الأُممِ والرُّسُلِ السَّابِقَةِ فيهِ تحدٍّ لأحْبارِ اليَهُود ورُهْبَانِ

(١) يُنْظَرُ: الباقلانيّ، إعجاز القرآن، ١٣، ١٤.

(٢) يُنْظَرُ: حسين، على هامش السيرة، المجلد ٣، محمود، الرسول ﷺ لمحات من حياته ونفحات من هديه، ١١٢.

النَّصَارَى الذين كانُوا عَلَى قَيدِ الحَياةِ، وحاولُوا تكذيبَهُ، وهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحقُّ، ويخفونَهُ، بَلْ يُحرِّفُونَهُ في كُتُبِهِمْ؛ فجَاءَ بالقَصَصِ الحقِّ مُعْجِزَةً لسيِّدِ الرُّسلِ.

١/١- القرآنُ الكريمُ اِفتِراءَاتُ الـمُسْتَشْرِقِينَ حَولَ القَصَصِ القُرْآنِيِّ:

١/١/١- التَّعْرِيف بالقُرْآن الكَرِيم: سُمِّيَ القُرْآنُ قُرآنًا: لأَنَّهُ يجمعُ الآياتِ والسُّورَ، ويَضُمُّ بَعضَها إلى بَعْضٍ [١]، واختلفَ فيهِ: هل هو اسمُ علَمٍ غيرِ مشتقٍّ خاصّ بكلام الله تَعَالَى، أم أنَّ لهُ اشتقاقًا لُغويًّا؟ والرأي الأَوَّل مرويٌّ عن الشَّافعيِّ، وهو اِخْتِيَار السَّيوطِيّ في الإتقانِ[٢].

وفي الثَّانِي اختلفوا في مصدرهِ اللُّغوِيّ، فمنهُم مَن قالَ: إنَّهُ مشتقٌ من قرنتُ الشَّيءَ بالشَّيءِ إذا ضممتُ أحدَهما للآخرِ، وسمّي به لقران السُّورِ والآياتِ والحرُوفِ فيهِ، ومنهم مَن قالَ: هو مشتقٌّ من القرائنِ؛ لأَنَّ الآياتِ منهُ يصدّقُ بعضُها بعْضًا، ويُشَابهُ بَعضُها بَعضًا، وهيَ قرائنُ، وهَذَا قولُ الفرَّاءِ، ومنهم مَنْ قالَ: إنَّه وَصْفٌ عَلَى (فُعلَان) مُشْتقّ مِنَ القَرءِ بمعنَى الجمْعِ؛ وبذَا يكُونُ مَصْدَرُ القُرْآنِ والقِراءاتِ واحِدًا، هو الجمعُ والضَّمُّ[٣].

والذي أَختارهُ هو ما اختارهُ السُّيوطِيُّ، وهُو رأْيٌ للشَّافعيّ[٤]؛ فهو كِتَابُ اللهِ تَعَالَى المعجِزُ[٥].

وجَاءَ تَعْرِيفُ القُرْآنِ في اِصْطِلَاحِ أَهْلِ العِلْمِ أَنَّهُ: « المنزَّلُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ للإِعْجَازِ بِسُورَةٍ مِنهُ، المتَعبَّدُ بِتِلَاوَتِهِ، المفْتَتَحُ بِسُورَةِ الفاتِحةِ، المختَتمُ بِسُورَةِ النَّاسِ»؛ فَفِي هَذَا القُرْآنِ نُورٌ يَكْشِفُ حقَائِقَ الأَشياءِ، ويُفرِّقُ

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ق ر أ) (٥٧٨/١١)، الفيروزآباديّ ، القاموس المحيط، ٦٢.

(٢) يُنْظَرُ: السّيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن،١٦١/١-١٦٢.

(٣) يُنْظَرُ: السَّابق،١٦١/١-١٦٤.

(٤) يُنْظَرُ: السَّابق،١ /١٦٢.

(٥) الجرمي، معجم علوم القرآن، ٢١٤.

بين الحقِّ والباطِلِ لتَجِدَ النَّفسُ منهُ ما ينيرُ جوانبَها؛ فتَرى كُلَّ شَيءٍ وَاضِحًا، وفيهُ شِفَاءٌ، وَرَحْمَةٌ، وعصمةٌ للعَقْلِ [١].

وللقُرآنِ شَخْصِيَّةٌ ذاتيَّةٌ مميَّزةٌ تُعجِزُ عقولَ البشَرِ وأقلامَهم: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [٢]؛ ممـا أَغْـرَى أَعْـدَاءَ الـدّينِ بمحَاوَلَـةِ إثَـارَةِ الشُّبهَاتِ ضِدَّهُ، وبخاصَّةٍ قَصَصُهُ التَّاريخيُّ عَنِ الأَنْبِياءِ.

١/٢- شُبْهَةُ الـمُسْتَشْرِقينَ المركزيَّةُ حَوْلَ قَصَصِ القُرْآنِ:

مِنَ الشُّبْهَاتِ التي يُثيرُها الـمُسْتَشْرِقونَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ما جاءَ بجَدِيدٍ في القُرْآنِ وإنَّما أَخَذَ بَعضًا مِنَ اليَهُوديَّةِ، وبَعضًا مِنَ النَّصرانيَّةِ، وبَعْضًا مِن قَصَصِ الفُرسِ[٣].وقدْ ذَكَرَ القُرْآنُ دَعوَى مَنْ سَبقَهُم: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ ﴾ [٤]، بل ذكرَ دَعْواهُم بأنَّ قصَصَهُ أَساطِيرُ وخُرافاتٌ: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ [٥]. وقال أَيضًا: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [٦].

(١) السابق،٤/٢٢٤٨.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.
(٣) دائرة المعارف الإسْلَامية،٣/٨١٦.
(٤) سورة الفرقان، آية: ٤.
(٥) سورة الفرقان، آية: ٥.
(٦) سورة النحل، الآية: ١٠٣.

وكَذَلِكَ دَعوَاهُم وقُوع الخَلْطِ والتَّضَارِبِ فيها وقَدْ أَجْهَدَ الـمُسْتَشْرِقُ فِنْسنك نَفْسَهُ؛ فَحَاوَلَ أَنْ يُثبتَ أنَّ بها خَلْطًا وتَضَارِبًا؛ ويمكنُ تلخيصُ هَذَا الزَّعمِ في طَرِيقَينِ:

١/٢/١- زَعْمُ وُجُودِ أَخْطَاءٍ تَارِيخيَّةٍ: مُحَاوَلَةُ إثباتِ أَنَّ القُرْآنَ أَخْطَأَ حينَ جَعَلَ النَّصَارَى يتَّخِذُونَ مِن مَرْيَمَ إلهًا:" **وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ** "؛ فَزعمَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ تأثَّر في تصوُّره ذَلِكَ بما تُولِيهِ الكَنيسَةُ لمَرْيَمَ مِنْ تَبجِيلٍ، أو نتيجةً لِخلطِهِ بينَ عِيسَى والرُّوحِ القُدُسِ [١].

١/٢/٢- زَعْمُ تَغْيِيرِ الأَسْماءِ في القِصَّةِ: يُخطِّئُ القَصَّ القُرْآنِيَّ في تَسْميةِ والدِ مَرْيَم (عِمْرَانَ)، مُرجِعًا هَذَا إلى الخَلْطِ بَينَهُ وبينَ والدِ مُوسَى؛ فقدِ افترضَ أنَّ اسمَ عِمْرَانَ الذي يقابلهُ عِمْرَام (Amram)في الإنْجِيلِ [٢].

١/٢/٣- الرَّدُّ عَلَى الشُّبْهَةِ الأَوَّلى:

مِنَ المقَرَّرِ عِندَ أَهْلِ العِلْمِ أنَّ عُنصرَ الـمُعْجِزَةِ لا يُفارِقُ القَصَّ القُرْآنِيّ، ولم يَثْبُتْ زَعمُهُ أنَّ مُحتوياتِ القُرْآنِ مُقتبَسَةٌ منَ اليَهُودِ والنَّصَارَى والفُرْسِ؛ لأَنَّ لُغتَهُم أَعْجَميَّةٌ، ولُغَةَ القُرْآنِ عَرَبِيَّةٌ مُعْجِزَةٌ؛ لذا يَبقَيَ عُنْصرُ الصِّياغةِ في القُرْآنِ مُعْجِزَةً ودَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ مِن عِنْدِ اللهِ.

لدَى كلِّ الشُّعُوبِ قَصَصٍ خَياليَّةٍ ، وإنْ كانَ لبَعْضِها أَسَاسٌ دينيٌّ؛ ولَكِنّ تدَخُّلَ العقُولِ فيهَا أَبْعَدَها عَن صِدْقِ القَصَصِ الإلهِيّ، فَمَا مِنْ قِصٍّ دِينيٍّ إلَّا ولهُ أثرُهُ في النُّفُوسِ، ووَقعُهُ في الأَذْهانِ، ولا سيَّما قصصُ الأَنْبِيَاءِ؛ لأَنَّهُ لمْ تأْتِ بهِ الشُّعُوبُ مِن عِندِ أنفُسِها ولا الأَنْبِيَاءُ من قِبَلِ أَنْفُسِهِم، بلْ إنَّ

(١) يُنْظَرُ: عوض، دائرة المعارف الإسْلَاميَّة الاستشراقيَّةِ (أباطيل وأضاليل)، ٢٥٩، هوتسما، وآخرون ، موجز دائرة المعارف الإسْلَاميَّة،٩٣٠٢/٣٠ .

(٢) يُنْظَرُ: بدوي، الدفاع عن القرآن ضد منتقديه، ١٦٧، ويُنْظَرُ: ت. هوتسما، وآخرون ، موجز دائرة المعارف الإسْلَاميَّة،٩٣٠٧/٣٠.

مَصْدَرَهُ هُو نَفْسُهُ مصدرُ النَّبِيّ ﷺ في القُرْآنِ، وهُوَ اللهُ ﷻ؛ لِذَا فالقَصُّ الخياليُّ، لا وُجُودَ لَه في القُرْآنِ، وما جَاءَ فيه من إخبَارٌ عَنْ حَضَاراتٍ بَادَتْ وأَقْوامٍ هَلَكَتْ فَلِاتِّعَاظِ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [1] »[2]. كَمَا يَجعَلُ مِنْهُ القُرْآنُ مَصْدَرًا خِصْبًا للمَعْرَفةِ التَّارِيخيَّةِ، معَ العِظَةِ والاعتِبارِ، دونَ النَّظْرةِ العَجْلَى، أَو الرُّؤيَةِ السَّريعَةِ، بل يدعونا أنْ نتأمَّلَ بدقَّةٍ في قَصَصِهم ونَدْرسَ أَسْبَابَ حُلُولِ غَضَبِ اللهِ عَلَيهِم لِنَتبينَهُ ونحذرَهُ [3]:﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [4] لذا نؤكّدُ بُطلانِ الشُبْهَةِ الأولى، بِالأَدِلَّة الآتِيَة:

أ- ما جَاءَ في قَصَصِ الأَنبيَاءِ القُرْآنِيّ مِن إعْجَازٍ تاريخيٍّ بالإخبَارِ عَنِ المستَقبلِ قَبلَ حُدُوثِهِ ؛كَنَصْرِ الرُّومِ ؛ ممَّا لا طاقةَ لبشرٍ أنْ يأتيَ بهِ. ولو كانَ النَّبِيُّ ﷺ اقتبسَهُ مِن قَصَصِ الأَوَّلينَ، مع عدمِ وجودِ دليلٍ عَلَى ذَلِكَ؛ وتظلُّ الصِّياغَةُ اللَّفْظيَّةُ القُرآنِيَّةُ الكَرِيم تُثبتُ أنَّهُ مِن ربِّ العالمينَ، ولو قُمنَا بالمقارنةِ بينَ قَصَصِ الشُّعُوبِ القديمةِ؛ كإيزيسَ وأوزوريسَ المصْريَّةِ، أو بُوذا الهنديَّةِ أو قَصَصِ الأبطالِ العرَبِيَّة والموجودةِ في القُرْآنِ لتأكَّدْنا أنَّ زَعْمَ أَخْذِ القُرْآنِ مِن أَسَاطيرِ الأَوَّلينَ خُرافةٌ، لا أَسَاسَ لهُ مِنَ الصِّحَّةِ.

(١) واقٍ: دافع، مخلوف، كلمات القرآن، تفسير وبيان ،٢٩٣.
(٢) سورة غافر، الآية: ٢١.
(٣) يُنْظَرُ: سبع ، قيم حضارية في القرآن الكريم، ١٥١/٢.
(٤) سورة غافر، الآية: ٢١.

ب- ولعلَّ مخالفةَ القُرْآنِ الكَرِيم في عدَّةِ مواطنَ لرأي النَّبِيّ ﷺ الشَّخصيّ ولِطَبعِهِ الخاصِّ من أقوى الأَدِلَّةِ عَلَى أنَّ الوحيَ القُرْآنِيّ ليسَ من تأليفِهِ، كما يَتَجلَّى في عتابِ الله تَعَالَى لهُ :﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ ﴾ (١).

فهذا عتابٌ للرَّسُولِ ﷺ لقَبُولِهِ الفِدَاءَ في أَسرَى بَدرٍ لِطَبعِهِ الرَّحيمِ في هِدايةِ خُصُومِهِ، ولَكِنَّ اللهﷻ يُنَبِّهُهُ إلى الأَقْربِ للحِكْمَةِ الإلهيَّةِ لاختِلافِ مَقامِ الرُّبُوبِيَّة عَن مَقَامِ العُبُودِيَّةِ (٢).

كما عُوتِبَ ﷺ لما أَذِنَ للمُنَافِقينَ الذِين اِستَأْذنُوهُ للتَّخلُّفِ عن غَزوةِ تَبُوكَ: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٤٣ ﴾ (٣). وكَذَلِكَ في عدَمِ العِنَايةِ بالأَعْمَى في سُورَةِ عَبَسَ . ونُدْهَشُ في هذهِ الوقَائعِ التي اعترضَ القُرْآنُ فيها عَلَى الرَّسُولِ ﷺ لأنَّها تتَّصِفُ بخصَائصَ مُشتركةٍ؛ هِي أنَّنا أَمَام حَلَّينِ؛ كلاهما مُبَاحٌ؛ فقدْ يُوجَدُ نَصٌّ صَريحٌ؛ كَما في سُورِ محمد (٤)، والنُّورِ (٥)، و التَّوبة (٦)،

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٧.

(٢) يُنْظَرُ: نقرة ، القرآن والمستشرقون، ٣٥/١.

(٣) سورة التوبة الآية ٤٣.

(٤) ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٤ ﴾.

(٥)﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٦٢ ﴾

(٦)﴿ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٨٠ ﴾

والأحزابِ [١]، وقَدِ اختارَ الرَّسُولُ ﷺ الحلَّ الذى رآهُ أنسَبَ للصَّالحِ العامِّ، وأوفقَ أَمَام عقلِهِ الإنْسَانِيِّ؛ كما في سُورَة التَّوبةِ[٢].

ولكنَّ الحكمةُ الإلهيَّةُ ترى ما لايراهُ النّبيُّﷺ بتفكيرِهِ البشريّ [٣]؛ وهو ما يُؤَكّدُ أَنَّ القُرْآنَ ليسَ من تأليفِ النَّبِيّ ﷺ ؛ كما يدَّعِي بعضُهُم؛ بل قد نَجدُ ما يوجّهُهُ أنْ يَضبِطَ آراءَهُ البشَريَّةَ الخاضِعَةَ أمامَ الحِكمَةِ الإلهيَّةِ الجامِعَةِ [٤].

ج- لو كانَ القُرْآنُ مِن تأليفِهِ ﷺ لَكَانَ أعظمَ شَرفٍ يَنْسبُهُ لنَفْسِهِ لما فيهِ مِن إعْجَازٍ عنِ الإتيان بمثلِهِ، أو ببَعضِ منهُ، والوَاقِعُ يُؤكّدُ ذَلِكَ فَكَثِيرٌ مِنَ المؤلِّفِينَ في كُلّ العُصُورِ والبِيئَاتِ يدَّعونَ تأليفَ آثارِ غَيرِهم، فَيَنسِبُونها لأَنفُسِهِم، ولا نَجدُ مَنْ نَسَبَ لِغَيرِهِ أَنفسَ آثارِهِ الأَدبيَّةِ مُختارًا [٥]؛ فَلَو وَجَدنا قَاضِيًا عَدْلًا لاكتَفَى بِشَهَادَتِهِ ﷺ في أَنَّهُ بريءٌ مِن تأليفِ هذَا الإعْجازِ ، ولم يتَطلَّبْ الأمرُ شَهادةَ آخرَ ، ولا تعوزهُ نيَّةٌ؛ لانتِفَاءِ المَصلَحةِ في نسبَةِ إعجازِهِ الذي يزدادُ به رِفْعةً وشأنًا لِغيرِهِ [٦]. كما يَدلُّنَا عَلَى أُلُوهِيَّةِ النَّصِّ القُرْآنِيّ الفَارِقُ البيِّنُ بين أُسْلُوبِهِ وغيرِهِ من الأَسَالِيبِ، بل ثمَّةَ فَارِقٌ شَاسعٌ بيَّن القُرْآنِ والحديثِ القُدْسِيّ [٧].

---

(١)﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ٤ ﴾

﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٤٨ ﴾

(٢)﴿ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧ ﴾

(٣) دراز، هامش مختصر مدخل إلى القرآن الكريم، ٦٦.

(٤) يُنْظَرُ: السابق،٦٦.

(٥) يُنْظَرُ: فؤاد، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسْلَام،١٢٤.

(٦) يُنْظَرُ : دراز، النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن الكريم،١٦، ١٧.

(٧) مرزوق، القرآن والرسول مقالات ظالمة، ١٨.

د- حَاوَلَ الأقدَمُونَ من المشركينَ أنْ يدرسُوا سرَّ إعجازِه، وتأثير أُسْلُوبِهِ عَلَى مَن يستمِعُ إليهِ، وانحصرَتِ اتّهاماتُهم في التَّسَاؤلِ :أَهُوَ شِعرٌ أمْ سَجْعُ كُهَّانٍ، أمْ أَسَاطيرُ الأَوَّلينَ، ومِنْ أَقوَى الأَدِلَّةِ عَلَى أُلُوهِيَّةِ مَصدرِهِ أوجُهُ الإِعْجَازِ التي اِشتَمَلَ عليها؛ فَأَوجُهُ الإِعْجَازِ الكَائنَةُ في القُرْآنِ مُنذُ نُزُولِهِ كَثيرةٌ؛ منها:

إِعْجَازُهُ الدّينيُّ والأَخلَاقيّ والعِلْمِيّ والتَّارِيخيُّ والكونيُّ والإِنْسَانِيُّ [1]، ونحنُ في دَهشَةٍ دائمةٍ لما تطالعنا بهِ نتائجُ أبحاثِ العُلَمَاءِ في شتَّى بقاعِ الأَرْضِ عَلَى مُختلفِ أَجناسِهِم ودِياناتهِم في تَطَابقِهَا مَعَ آياتِهِ ؛ممَّا يَدلُّ دَلَالَةً قاطعَةً عَلَى أنَّ مصدرَهُ إلهيٌّ لا بَشَريٌّ.

١/٢/٤- الرَّدُّ عَلَى الشُبْهَةِ الثَّانيَةِ: (القُرْآنَ خلَطَ بين مَرْيَم أُم عِيسَى ومَرْيَم أُخْت هَارُون ومُوسَى)

نُبَادرُ بأنَّ فريقًا مِنَ المُسْتَشْرِقينَ الهولنديّينَ وَغَيرِهِم، قَدْ ردُّوا على هذهِ الشُّبهة؛ منهم عَلَى سَبِيلِ المثالِ، المُسْتَشْرِق چورج سال، الذي اِستشْهدَ بابن كثير حينَ علَّقَ في تَفْسِيرِهِ سُورَةَ آل عِمْرَان بأنَّ عِمْرَانَ شَخْصَان مُختلِفَانِ وَفقًا للدِّيانةِ الإِسْلَامِيَّةِ؛ الأَوَّل والدُ مُوسَى وهَارُون عليهما السَّلامُ ، والثَّانِي والدُ مَرْيَم عليها السَّلامُ، ومَعَ ذَلكَ نَشَأَتْ عندَ بعض الكتَّابِ المَسِيحِيِّينَ شبهةُ خَلْطِ القُرْآنِ بَينَهُمَا مَعَ تَفَاوُتِ الأَزْمِنَةِ، ولَو كَانَ ذَلِكَ كذلكَ لكَانَ مصدرُ القرآنِ بشريٌّ، ولكنَّ جورج سال يَردُّ ذلكَ بفرضيَّةِ أنَّهُ لو كان ﷺ يجهل التَّارِيخَ والتَّرتيبَ الزمنيَّ فوقعَ في هَذَا الخطأِ، فإنَّه لا يُمْكِنُ استنتاجُ هذَا الخطأِ من القُرْآنِ؛ فكونُ شَخصينِ لهما اسمٌ واحدٌ لا يترتَّبُ عليه أنَّهما

(١) يُنْظَرُ: للتوسع في مجال الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، الغمراوي، الإسْلَام في عصر العلم، البار، خلق الإنسان بين الطبّ والقرآن، وجهود عبد المجيد الزنداني، وزغلول النجار على الإنترنت، ونجيب غائب، تأمُّلَات في العلم والإيمان، وأحمد سليمان، الكتاب الكوني أو المعجزة الخالدة، وجهود محمد الفنديّ.

شَخْصٌ واحِدٌ[١]، وهِيَ مُلَاحظَةٌ عِلْمِيَّةٌ دقيقَةٌ تَدحضُ رأْيَ فنسنك وأمثالهِ ممَّنْ أثارُوا مثلَ هذهِ الشُّبهَاتِ.

١/٣- شُبْهَةُ اِسْتِقَاءِ القَصَصِ القُرْآنِيِّ مِنْ السَّابِقِينَ والرَّدُّ عليهِم

لَمْ يَقِفِ المُسْتَشْرِقونَ المغْرِضُونَ عِندَ حَدِّ ادِّعَاءِ أَنَّ القَصَّ القُرْآنِيَّ مُسْتَمَدٌّ مِنَ الشِّعْرِ الجاهِليّ وقَصَصِ الفُرسِ وكُتُبِ اليَهُودِ والنَّصَارَى؛ بلِ ادّعوا أنَّ بهَذَا القَصِّ أَخْطَاءً تَارِيخِيَّةً، وتحريفاتٍ في أسماءِ الشَّخْصِيَّاتِ والأَنْبِيَاءِ والرُّسُلِ؛ ويُمكنُنَا إجمالُ ما ذَكرُوهُ في هذَا الصَّدَدِ فيمَا يَأْتِي:

١/٣/١ - حَاولَ المُسْتَشْرِقُ اليَهُوديُّ إبراهام جيجر في كتابِهِ: "ماذَا أَخذَ مُحمدٌ مِنَ اليَهُوديَّةِ؟ أن يثبتَ أنَّ القَصَّ القُرْآنِيَّ مأخوذٌ لفْظًا ومَعنًى مِن كُتُبِ اليَهُودِ لَا مِن عِندِ اللهِ، بل أَخذَ يُعدِّدُ طرقَ الأخذِ الممكنةَ؛ كأنْ يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ نقل هذهِ القصصَ مُشافهةً عن يَهُود عصره، أو من كتبهم مباشرَةً، مُرجِّحًا الطَّريقَ الأَوَّلَ اعتمادًا عَلَى ما توَهَّمُهُ من قولِهِ تَعَالَى: ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ ﴾ [٢]، فيَدَّعي أنَّهُ النَّبِيّ لو قرأ كتبَ اليَهُود لعرفَ أن هُنَاكَ أشخاصًا بهَذَا الاسم قبل يحيى! فالقُرْآنُ، في نظرِهِ، خاطئٌ.

١/٣/٢ - وَزَعَمَ المُسْتَشْرِقُ"چڤري" أنَّ اسمَ (آزر) الوَارِدَ في قصَّةِ إِبْرَاهِيمعليه السلام في سُورَةِ الأنعَامِ محرَّفٌ عن اسمِ "اليعزر" العبريّ اسم خادم الأمين إبراهام، كما وردَ في قصَّةِ سِفرِ التَّكْوِينِ التي وصلتْهُ ﷺ فالتبسَ الاسمُ عَلَيهِ [٣].

(١) يُنْظَرُ: بدوي، الدفاع عن القرآن ضد منتقديه، ١٧٨.

(٢) سورة مريم، الآية: ٧.

(٣) يُنْظَرُ: دائرة المعارف الإسْلَامية، مادة آزر.

١/٣/٣ – وَزَعَمَ الـمُسْتَشْرِقُ فنسنك: أَنَّهُ ﷺ عرفَ إلياسَ عليه السلام،وحرَّفَهُ إلى "إلياسين"، ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠ ﴾[١]، لضَرُورةِ السَّجعِ؛ ممَّا أَوقَعَ قُدَامَى المفسِّرينَ في مَشقَّةِ تأويلِهِ[٢].

١/٣/٤ – وَزَعَمَ الـمُسْتَشْرِقُ (كارادي فو) أَنَّهُ ﷺ لَم يَفهمْ «بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ» يقصدُ قَولَهُ تعالَى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ٨٧ ﴾[٣]الخَلْطِهِ بينَ رُوحِ القُدُسِ وجِبْريلَ![٤].

١/٣/٥ – وَزَعَمَ الـمُسْتَشْرِقُ اليَهُوديُّ المجَرِيُّ چولد تسيهر: أنَّ استحالةَ ورودِ سُؤالِ الحَواريينَ: ﴿ إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١١٢ ﴾[٥]،بعدَ إيمانهِم، وقد حملتْ هذه الاستِحَالةُ بعضَ القُرَّاءِ عَلَى قراءَةِ الآيةِ هكَذا: (هل تَستَطيعُ ربّكَ)، بمعنى: هَلْ تَسْتطِيعُ سُؤالَ ربِّكَ، أي تَجعلُهُ يَفْعلُ ذَلِكَ في ضَوءِ سُؤالكَ إيَّاهُ[٦].

١/٣/٦ – وَزَعَمَ الـمُسْتَشْرِقُ سنت كلاير تسدل أَنَّ مُحمَّدًا ﷺ كَانَ يرَى أَنَّ مَرْيَم كَانَتْ أُخْتَ هَارُونَ أَخِي مُوسَى: ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ

(١) سُورَة الصافات، الآية:١٣٠.
(٢) يُنْظَرُ: السَّابق، مادة إلياس.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٨٧.
(٤) يُنْظَرُ: دائرة المعارفِ الإسْلَامية، مادة إنجيل.
(٥) سورة المائدةِ، الآية: ١١٢.
(٦) يُنْظَرُ: جولد تسيهر، مذاهب التفسير الإسْلَامي، ٣٦، ٣٧.

سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ ﴾ [١]، ومما يزيدُ الأمرَ وضُوحًا، في نَظرِهِ ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [٢]،وكذا﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [٣] أَي إِنَّ مَرْيَم هِيَ ابنَةُ عِمْرَان، بالإِضَافَةِ إِلَى ما وَرِدَ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [٤] مِنَ النَّصِّ عَلَى أَنَّ هَارُون هو أَخُو مُوسَى، فهَذِهِ الآياتُ الثَّلاثُ تُثبتُ، في نظرِهِ أنَّ عِمْرَانَ ومُوسَى وهَارُونَ ومَرْيَم هُم الأشخاصُ الذين وردَ ذكْرُهم بهَذِهِ الأسماءِ في أسفارِ مُوسَى، وغاية الأمرِ أنَّ اسمَهُ في التَّوراةِ عِمْرَام عِوضًا عن عِمْرَانَ، وقد وَرِدَ في سِفْرِ العدَدِ الإصْحَاح ٢٦ الآية ٥٩: «واسمُ امرأةِ عِمْرَام: يوكايد بنت لاوي التي ولدتْ للاوي في مِصرَ، فولدتْ لعِمْرَام هَارُونَ ومُوسَى ومَرْيَم أُختَهُما» وَوَرَدَ في سِفْرِ الخُرُوجِ، الإصْحَاح ١٥ الآية ٢٠ أَنَّ «مَرْيَم النَّبِيّةَ كانتْ أختَ هَارُونَ» كمَا رَأَيْنَا في سُورَةِ مَرْيَم ؛ أَي إنّهُ ﷺ ذهبَ إلى أنَّ مَرْيَم أختُ هَارُونَ التي كانتْ أَيضًا ابنة عِمْرَام/ عِمْرَان، هِيَ نفسُها مَرْيَم التي صَارتْ أمَّ المَسِيح عليه السلام بعد ذَلِكَ بنحوِ أَلْفٍ وخَمسمائةٍ وسَبْعينَ سَنةً»، ثمَّ يدَّعِي تَسْدلُ أَنَّ بَعْضَ المفَسِّرينَ المُسْلِمِينَ عجزوا حين حاولُوا تَفْنِيدَ هَذَا البُرهانِ الذي أُقيمَ لتزييفِ القُرْآنِ، ثم رأى أنَّهُ قد يَكُونُ سَبَبُ هَذَا الخَطَأِ أنَّهُ ما وردَ في

(١) سُورة مريم، الآية: ٢٨.
(٢) سُورة التَّحريم، الآية: ١٢.
(٣) سُورة آلِ عمران، الآية: ٣٦.
(٤) سورة الفرقان آية: ٣٥.

بعضِ خُرافاتِ اليَهُودِ بخصوصِ مَرْيَم أخت هَارُونَ من أنَّها لمْ تُتَوَفَّ بملَكِ الموتِ، بل بقبلةٍ إلهيَّةٍ، كَمَا أنَّهُ صَرفَ عن جَسَدِها الدُّودَ والحشرات، ولم يقُلْ أحدٌ : إنَّها مَرْيَم بقيتْ عَلَى قيدِ الحياةِ إلى عصرِ المَسِيحِ! (١).

ومـنَ العَجِيـبِ أنْ نَـرى مُسْتَشْـرِقينَ آخـرينَ يتنـاقَلُون هَـذِهِ الأُبطُولَـةَ ؛كَالإنجليزيّ ألفرد چيوم، والأَمْرِيكِيّ فردريك بلس، والأَلْمَانِيّينِ: ڤلهلم روداڤ، وهربرت چوتشالك!.

١/٣/٧ – كَمَا زَعَمَ الـمُسْتَشْرِقُ تسدلُ أنَّ مُعْجِزَاتِ عِيسَىعليه السلام المذكورةِ في القُرْآنِ حَقِيقِيَّةٌ، ولَكِنَّهُ استثنى أَمْرينِ؛ عَلَى أَنَّهمَا مِنَ الأَخْطَاءِ التَّارِيخ، الأَوَّلُ حينَ قَرَّرَ أَنَّ عِيسَى تَكَلَّم فـي المهْدِ، واستَنَدَ فـي تَأكِيدِ هَـذِهِ الأُبْطولةِ إِلَى إِنْجِيل يوحنا الإِصْحَاح ٢ الآية ١١؛ حَيْثُ يتَّضِحُ للقارئِ حينَ يقرؤُها أنَّ المَسِيحَ لم يفعلْ أَيَّةَ مُعْجِزَةٍ طِفلًا، الثَّاني ما ذَكرهُ القُرْآنُ منْ قِصَّةِ المائدةِ التي أَنزلَهَا عِيسَى من السَّمَاء، واستندَ في هَذَا الادّعاءِ إلى أَنَّ هَذِهِ قِصَّةٌ عَجِيبَةٌ، لم تَرِدْ في أيٍّ من كُتُبِ المَسِيحِيّةِ!،. ومردُّها سوءُ فَهْمِ الكِتَابِ المقدَّسِ! (٢).

١/٣/٨ – وزَعَمَ الـمُسْتَشْرِقُ تسدلُ ، أَيضًا، أنَّ والدَ إِبْرَاهِيمَعليه السلام سُمِّى في أَسفارِ مُوسَى: "تارح"، ولدى بعضِ اليَهُود "آثر"، ولكنّهُ ﷺحين سافَرَ إلـى الشَّـام سـمعَ مـنَ اليَهُـودِ هَـذِهِ الاسـمَ ، ولمـا لـمْ يتـذكَّرْ قـالَ: إنَّـهُ "آزرُ "!(٣).

١/٣/٩ – عَـدَّ تسـدلُ كَـذَلِكَ إنكـارَ القُـرْآنِ صَـلْبَ الـمَسِيحِ مِـنَ الأَخْطَـاءِ التَّارِيخيَّـةِ، لأنَّ مَوتَـهُ عَلَـى الصَّـليبِ، فـي ظـنّ تسـدلُ وغيـره مـنَ

(١) يُنْظَرُ: مصادر الإِسْلَام، الترجمة العربية، ١٠٥-١٠٧.
(٢) يُنْظَرُ: السابق، ١٢٧، ١٢٨.
(٣) يُنْظَرُ: السابق، ٤٩.

المستشرقينَ المغرضينَ حقيقةٌ مؤكَّدةٌ، ويقرُّ الأَنْبِيَاءُ والحوارِيُّونَ بذَلِكَ، فقدْ تنبَّأوا بأنَّ المَسِيحَ الموعودَ بهِ يبدلُ حياتهُ الكَرِيمةَ الثَّمينةَ، ويكفِّرُ كفَّارةً تامَّةً كامِلَةً عن خَطَايا الإنْسَانِ، وشَهِدَ الحوارِيُّون أَنَّهم شَاهدُوا بأعينِهم صَلْبَ المَسِيحِ![1].

هَذِهِ نماذج من شُبهَاتِ المُسْتَشْرِقينَ حولَ القَصَصِ القُرْآنِيّ وما بهِ من أَخْطَاءِ التَّارِيخ، يهدفونَ بذلكَ إلى التَّدليلِ بأنَّ القُرْآنَ ليسَ كلامَ الله! وواضِحٌ أنَّها بلغت المدَى منَ التَّهجُّم عَلَى نبيّنا ﷺ بأباطيلَ نَسَجُوها مِنَ التَّجنِّي والمجازفَةِ واللَّعبِ بالأَلْفَاظِ، وعدمِ التَّورُّعِ عن الافتراءِ؛ فلا همَّ لهم إلَّا أَنْ يتَصيَّدوا أمثالَ ما زعَمُوهُ منَ الشُّبْهَاتِ لتشكيكِ المُسْلِمِينَ في قرآنِهم المجيدِ بدعوَى مَوْضُوعيَّةِ البَحثِ العِلْمِيِّ!

١/٤- الرَّدُّ عَلَى شُبْهَةِ جيجرَ في أَسْبقيَّةِ اسمِ يَحيَى عليه السلام:

دعوى وجُودِ خَطَأٍ في تأكيدِ القرآنِ عَلَى أَسْبقيَّةِ اسم يحيى عليه السلام[2]، فثمَّةَ حقائقُ، تدَحْضُها أُوْجِزُها فيمَا يَأْتِي:

١/٤/١- قَولُ اللهِ تَعَالَى أَسبقيَّةِ اسمِ يَحيَى لَيسَ لهُ تفْسِيرٌ واحِدٌ بلْ أَكثرُ مِن تَفْسِيرٍ؛ منها:

أ- المرَادُ بالأَسْبَقيَّةِ: أنَّ أَحَدًا مِنَ البَشَرِ لم يُسَمَّ بهَذَا الاسمِ قَبلَ يَحيَى عليه السلام، وإلى ذَلِكَ ذهبَ قتَادَةُ وابنُ جريجٍ وابنُ زيدٍ، واختارهُ ابنُ جَريرٍ رَحِمَهُ اللهُ[3]

(١) مصدر الإسْلَام، ١٣٣.

(٢) في قولهِ تَعَالَى: ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ ﴾ سورة مريم، الآية: ٧.

(٣) يُنْظَرُ: الطّبريّ، جامع البيان، ١٥/٤٦١-٤٦٤، ابن كثيرٍ، وتفسير القرآن العظيم، ٣/١١٢.

ب- المرَادُ بالأسبقيَّةِ: أنَّ الله لم يجعلِ لِيحيَى مِن قبلُ مَثَلًا وشَبِيهًا؛ كما ذَهبَ مُجاهِدٌ(١)، وأخذَهُ مِنْ مَعْنَى قَولِهِ تَعَالَى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ (٢) أَيْ شَبيهًا، وَوضّحَ الزَّمخشَرِيُّ ذلكَ بأنَّ يحيى ليسَ له مثلٌ في أنَّهُ لم يَعصِ ولم يهُمّ بالمعصِيَةِ، كما ولد حَصُورًا لشيخٍ فانٍ وعجوزٍ عَقيمٍ (٣).

ج: المرادُ أنَّهُ: لم تلدِ العواقرُ مثْلَهُ قبلَهُ؛كمَا ذَهبَ عليٌّ بنُ أبي طلحَةَ نَقْلًا عَنِ ابنِ عبَّاسٍ رضِيَ اللهُ عَنهُما(٤).

١/٤/٢- قَصَّ علينا القُرْآنُ أنَّ زكَرِيَّا عليه السلام عندَما رأى الرِّزْقَ عندَ مَرْيَم في المحرابِ دَعَا ربَّه: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨﴾ (٥) ونلحظُ في صيغَةِ الدُّعاءِأنَّهُ لم يُحدِّدْ نوعَ الولدِ من نَاحِيَةِ الذُّكورَةِ والأُنوثةِ، لأنّ قولهُ يَحتملُ أُنثى يهبُها اللهُ إيَّاهُ، ولكنَّ جيجرَ يعْتَرضُ بأنَّ زكَرِيَّا نادى ربَّهُ نِداءً خفيًّا: ﴿وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ٦﴾(٦) والدُّعاءُ، هُنا، يُوضِّح أنَّهُ طَلَبَ مِن ربّهِ أن يهبَهُ ذكرًا ليرثَ العِلمَ والنُّبوَّةَ وخِدمةَ الدّينِ،

---

(١)يُنْظَرُ: مجاهد ،تفسير مجاهد(أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت ١٠٤هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، القاهرة، دار الفكر الإسلامي الحديثة، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م،٢٤٣.

(٢) سورة مريم، الآية: ٦٥.

(٣) الزمخشريّ، الكشاف،٥٠٣/٢.

(٤) يُنْظَرُ: الطّبريّ، جامع البيان، ٤٦١/١٥، ابن كثيرٍ، وتفسير القرآن العظيم، ١١٢/٣.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣٨.

(٦) سورة مريم، الآية: ٥، ٦.

لا المال لِأَنَّ الأَنْبِيَاءَ لا يورّثُونَ المالَ[١]، وتحديدُ الهبةِ بالذَّكرِ امتِدَادٌ لأمَلِهِ في بارئِهِ وثقتِهِ المطلقةِ فيهِ، إذْ ينطوِي عَلَى كثيرٍ منَ الاعتباراتِ؛ منها: أنَّ الله تَعَالَى جعلهُ وزوجه قادرين عَلَى الإنجاب، ومنها: أنَّ الوَليَّ سيَكُونُ غُلامًا، تمشِّيًا معَ قولِهِ تَعَالَى خِطابًا للمُصطَفَى ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَواْۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩ ﴾ [٢]، ومِنهَا: أنَّهُ عليه السلام يفترضُ في الابنِ أنْ تُكتبَ لهُ الحياةُ، ويَعيشُ عيشَةً طَبَعيَّةً تنتهِي بموتِ الأبِ وبقاءِ الابنِ الصَّالحِ الذي يقومُ عَلَى شُؤُونِ الدِّينِ ؛كمَا يَنْبغِي؛ فيرثُهُ ويَرِثُ مِن آلِ يَعقُوبَ[٣].

وأجَابَ اللهُ ﷻ المضطَرَّ إذْ دعاهُ، وكشَفَ السُّوءَ لِحُسنِ ظنِّ عبدِهِ زكريا بهِ؛ فناداهُ: ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ٧ ﴾ [٤] وقدِ ابتدَأتِ الآيةُ بنِدَاءِ اللهِ تَعَالَى زَكريَّا، دليلا عَلَى مكانتِهِ السَّاميةِ عند رَبِّهِ ، ثمَّ جاءَ بعد النِّدَاءِ الرَّبَّانيِّ نداءٌ من الملأِ الأعَلَى يَدلُّ عَلَى مدَى وقعِ هَذِهِ البشَارةِ في نفسِهِ، عليه السلام وهُوَ المتعطِّشُ لولدِ صالحٍ يقومُ عَلَى الدِّينِ بعدَ وفاتِهِ عليه السلام، ولا تقفُ البشَارةُ عندَ ذِكْرِ الغلامِ، وإنما تُسَمِّيه اسمًا يَدلُّ عَلَى مَا يتَمَنَّاهُ عليه السلام، مِنْ بَقاءِ ابنِهِ بعدَهُ حيًّا، ثمَّ تختتمُ الآيةُ بما يُوضِّحُ أنَّ الغُلَامَ مخصوصٌ من ربِّهِ بِالاسمِ"يحيى" ، دُونَ سَبقٍ مِنَ البَشَرِ، وفي ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى رضَا ربِّهِ عنهُ في مستقبلِ الزَّمانِ [٥].

---

(١)يُنْظَرُ: الكشاف،٢/٥٠٣.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٩.

(٣) باجودة، تأملات في سورة مريم، ٣٢.

(٤) سورة مريم آية: ٧.

(٥) ينظر: باجودة، تأملات في سورة مريم ، ٣٥.

ومِن ثَمَّ؛ نَرَى كَيفَ أنَّ المولَى ﷻ نادَى عبده زكريا من الملأ الأعَلَى، وعجَّلَ لـهُ البُشْرى، وكرَّمـهُ، فبشَّرهُ بما كان يتَمنَّـاهُ وأَبلَغَـهُ، أَنَّـهُ قَدِ اختَارَ لَـهُ اسمًا غيرَ مَسْبُوقٍ "يحيى" مُشتَقًّا منَ الحياةِ؛ مُوحيًا أنَّ تَسميَتَهُ بلفظٍ أُخِذَ من "الحيَاةِ" لمْ يُسْبَقْ، ولا غَروَ فالله الذي سمّى يحيَى هو الذِي سمَّى قبلـهُ: آدمَ، وحَوَّاءَ، وإسحاقَ، ويعقوبَ، فكانَ يَحيَى خَامِسَ مَنْ سمَّاهم اللهُ، ولم يُسمِّهم أَحدٌ سِواهُ.

لَقَدْ أَنبَأَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى زكَريا بـذَلِكَ كلِّـهِ قبلَ أنْ تَحملَ زَوجُـهُ بيَحْيى؛ بلْ قبلَ أنْ يحدُثَ أيُّ اتِّصَالٍ بينَ زكَريَا الذي وهَنَ عَظمُهُ واشتعلَ شيبُهُ وبينَ زوجِهِ التي صدرَتْ فيها البُشرَى عاقِرًا، وأنبأَ اللهُ زكريا بالمستقبلِ الذي ينتظرُ الغُلَامَ بعْدَ انتظارِ سَنَواتٍ، وما سيَصِيرُ مِنْ تَحقُّقِ الـمُعْجِزَةِ الرَّبَّانِيَّةِ بطلاقة القُدْرةِ الإلهيَّةِ بالقَولِ للشَّيء: كنْ فيَكُونَ، وأنَّها ستَلِدُ غُلَامًا باسمِ "يحيى" لم يطلقْ عَلَى أحدٍ قبْلَهُ، وأنَّ الغُلامَ سيَصدِّقُ بكلمةِ اللهِ؛ عِيسَى عليه السلام، وسيَصِيرُ سَيِّدًا وحَصُورًا ونبيًّا من الصَّالحينَ، وسَيَأخذُ الكِتَابَ بقُوَّةٍ، وسيُؤتَى الحكمَ صَبيًّا تَقِيًّا طَاهِرَ النَّفْسِ والقَلْبِ رَقيقَ الشُّعور، سليمَ الطَّبعِ، بارًّا بوالديهِ، محاطًا من اللهِ بالأمنِ والسَّلَامِ والطُّمأنينَةِ يَومَ ولادتِهِ، ويَومَ وفاتِهِ، ويَومَ يُبعثُ حَيًّا للوقُوفِ أَمَام خَالقِهِ ومَولاهُ؛ فقدْ أَخبَرَ اللهُ ﷻبِهِ زكريّا بكُلِّ ذلكَ، قبلَ أَنْ يُولَدَ الغُلَامُ.

وهَكَذا فالإبلَاغُ إعجَازٌ بعِلمِ الخَالقِ قبل خَلقِ المولُودِ، وقَبلَ أَنْ تحملَ بهِ أُمُّهُ (١).

٣/٤/١- هُنَاكَ ردٌّ آخر على إبراهام جيجر فيما ادّعَاهُ فقَدْ جاءَ نصٌّ في أحدِ الأناجيلِ الأَرْبعَةِ التي يعترفُ بها النَّصَارَى يُقرّرُ أنَّ اسمَ هَذَا الرَّسُول الكَرِيم يحيى عليه السلام لم يكن متداولًا من قبلُ، ولا معروفًا في عَشيرةِ

(١) ينظر: معجزة القرآن، ٣٧٥.

أمِّه وأبيهِ، وهُم "بنو إسرائيلَ"؛ أيْ ليسَ في كُتُبَ اليَهُودِ أَكثرَ من يحيى، وأنَّ ثمَّةَ أَشْخاصًا سُمُّوا بهَذَا الاسمِ؛ كما يزعمُ جيجرُ.

وما كانَ أَحرَى بجيجرَ أنْ يَبتعِدَ عَنِ التَّعَصُّب والمغالَطاتِ، وأَنْ ينأَى بما يَخْلُو منهُ القُرْآنُ تمامَ الخُلُوِّ، حينَ يقصُّ الحقائقَ التَّارِيخِيَّةَ الثابتةَ، والأنباءَ الصَّادقَةَ دُونَما أَخْطَاءٍ.

أَمَّا زَعمُ المُسْتَشْرِق فنسنك أَنَّهُ ﷺ حرَّفَ إلياسَ إلى إلياسينَ لضَرُورةِ السَّجْعِ، فإنَّهُ يقصدُ منها أنْ يُوهِمَ القرَّاءُ بأنَّ قَصَصَ القُرْآنِ مِن وَضعِهِ ﷺ، كما أَنَّ زعمَهُ يشي بِجهلِهِ بكثير من أمورِ الدِّينِ،واللُّغَةِ؛ تشبه تلك التفسيرات الخاطئة المضحكة من تفسيرِهم اسمَ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ ،رضي الله عنه ،بأَنَّهُ: (أبو العَذْرَاء)، وتفسيرِهم معنى القَصيدِ بِأَنَّهُ المقصودُ، وتفسيرِهم ب في قولَهُ تَعَالَى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [1] بالمَلَائِكَةِ دونَ أَحْذيةٍ! [2].

وقَدْ فَاتَ فنسنك أنَّ اسمَ "إلياسَ" أعجميٌّ ممنوعٌ منَ الصَّرفِ للعِلْمِيَّةِ والعُجْمةِ، والاسمُ الأَعجميُّ تفعل به العربُ ذَلِكَ، فتَقُولُ في إلياسَ: إلياسينَ، وفي إدريسَ: إدريسينَ وإدراسينَ، وفي إسماعيل: إسماعينَ وهي لغةُ بني أسدٍ، وأَنشَدَ بَعضُ بني تميم في ضَبٍّ صَادَهُ:

يَقُولُ رَبُّ السُّوقِ لَمَّا جِينَا هَذَا وَرَبِّ البَيتِ إِسْرَائِينَا

ويقالُ: ميكالُ، وميكائيلُ، ميكائينُ، وإِبْرَاهِيمُ، وإبراهامُ، وإسرائيلُ، وإسرائينُ، وطَورُ سيناءَ، وطَورُ سِينينَ؛ وهُو مَوضِعٌ واحِدٌ وكُلّ هَذَا سَائِغٌ[3].

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٧٥.

(٢) يُنْظَرُ: العقَّاد، الإِسْلَام دعوة عالمية،٢٢٨.

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، ٢٠/٤، وإسرائين النون فيها مبدلة من اللام؛ مثلما يُقَالُ: سِجِّيلٌ، وَسِجِّينٌ، وَرَفْلٌ، وَرَفْنٌ، وَجِبْرِيلُ، وَجِبْرِينُ، أُبْدِلَتْ بِالنُّونِ كَمَا أُبْدِلَتِ النُّونُ بِهَا فِي أَصِيلَانٍ قَالُوا: أَصِيلَالٍ. – أبوحيان، البحر المحيط،٢٧٨. والبيت في شواهد العيني على هامش الخزانة ٢/ ٤٢٥.

وأمَّا ما زَعَمَهُ الـمُسْتَشْرِقُ كارادِي فو من أَنَّهُ ﷺ خَلَطَ بينَ رُوحِ القُدُسِ وجِبريلَ في الآيةِ الكَرِيمةِ[1]؛ليوهم كارادِيُّ القُرَّاءَ بأنَّ قَصَصَ القُرْآنِ من تأليفهِ ﷺ ،ودعواه بأنَّ هُنَاكَ خَلطًا بينَ رُوحِ القُدسِ وجِبريلَ ، وهَذَا الكلامُ غامضٌ ملتوٍ فَضْلًا عن كونهِ خارجَ حُدودِ البحثِ العِلْمِيّ؛ فقد نصَّ عبدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ، ﷺ، في تفسيره عَلَى أنَّ المرادَ برُوحِ القُدُسِ هُو جِبريلُ عليه السلام، وتَبِعَهُ عَلَى ذَلِكَ ابنُ مسعودٍ ،وابنُ عبَّاسٍ ومحمد بن كعبٍ، وغيرهم[2]. وقدْ جاءَ في القُرْآنِ: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [3]، وجاءَ في شِعْرِ حَسَّان بنِ ثابتٍ قَولُهُ:

وجِبرِيـــــلُ أَمـــــينُ اللهِ فينَـــــا ورُوحُ القُـدسِ لـيسَ لَـهُ كَفَـاءُ[4]

ورُوِي أنَّ نَفَرًا منَ اليَهُودِ، سَأَلُوهُ ﷺ: أخبرْنا عنِ الرُّوحِ، فَقالَ: هَلْ تعلَمُونَ أنَّهُ جبرائيلُ وهوَ الذي يأتيني؟ قالوا: نعم. ورُوِي، أَيضًا، أنَّهُ ﷺ دَعَا لحسَّان: اللَّهُمَّ أيده برُوح القُدُسِ [5]؛ فاتَّضَحَ أنَّ رُوحَ القُدُسِ هُو جِبريلُ عليه السلام، فأيّ خَلطٍ يدّعيهِ كارادي ؟!

وقَالَ الزَّمخشرِيُّ: بِرُوح القُدُس أي بجبريلَ، أو بالإِنْجِيلِ [6]، وكلامُهُ يفيد أنَّ هُنَاكَ أكثَرَ من تَفسِيرٍ لرُوحِ القُدُسِ الذي يدَّعِي كارادي فو أنَّ هُنَاكَ خلطًا في القُرْآنِ الكَرِيمِ بينهُ وبينَ جبريلَ عليه السلام؛ فإطلاقُ رُوحِ القُدسِ عَلَى

(١) ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾. – سورة البقرة آية: ٨٧.

(٢)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،١/١٢٢.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ١٩٣-١٩٤.

(٤) ديوانه، ٧٥.

(٥) يُنْظَرُ: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،١/١٢٢.

(٦) يُنْظَرُ: الزمخشري،الكشاف،١/٢٩٤.

جبريلِ عليه السلام لا يزيد عَلَى أنه نعتٌ لهُ بأنَّهُ روحٌ مُقدَّسةٌ طَاهِرةٌ، وليسَ في هَذَا الإطلاقِ تداخلٌ أو لبسٌ(١).

لقدْ تنَاسَى كارادي أنَّ القُرْآنَ بلِسَانٍ عَربيٍّ مُبينٍ، وأنَّهُ ﷺ خاطبَ النَّاسَ بهَذِهِ اللُّغَةِ، التي احتوت لفظتي: "رُوح"، وقُدُس"، وأنَّ القُدُسَ تَأْتي نَعتًا لِغَيرِها، وأنَّ الموصوفَ قدْ يُضافُ إلى صفتِهِ؛ لذا فَمعنى "رُوح القُدُسِ": الرُّوحُ المقدَّسَةُ الطَّاهِرةُ أَو نَحوُ ذَلِكَ.

ويَبْدُو كارادي في ادِّعَائِهِ مُتَأثِّرًا بالاسْتِعمَالِ الخَاطِئِ لـ"رُوْحِ القُدُسِ" في الإصْطِلَاحاتِ المَسِيحِيّةِ؛ لكونِ النَّصَارَى يرون الإله ثَلَاثَةَ أقانيمَ ؛ وهِيَ: الذَّاتُ، والنُّطقُ، والحياةُ. فَإذَا تَجلَّى اللهُ بِصِفَتِهِ ذاتًا، سُمِّي: الآب، وإذا نطقَ فهُو: الابنُ، وإذا ظَهَرَ كَحَياةٍ فَهُو الرُّوحُ القُدسِ، والله الآبُ مَصْدَرُ العدْلِ، والابنُ مصدرُ الرَّحمةِ والرُّوحُ القُدس مَصْدَرُ النِّعْمَةِ!(٢)؛ فتأثر كارادي بهَذِهِ المعتقَدَاتِ النّصرانيَّةِ؛ فَرَاحَ يَدّعِي أنَّ القُرْآنَ خلطَ بينَ رُوحِ القُدسِ وجبريل عليه السلام، وكأنَّ كارادي حَكَّمَ مَنطِقَ استِعمَالِ النَّصَارَى لرُوحِ القُدسِ؛ وهُوَ لَيسَ حُجَّةً عَلَى القُرْآنِ، ولا لُغَةِ العرب، فالخطَأُ فيما اعتمدَهُ مِن مُصْطَلَحات النَّصَارَى، لا في قَصَصِ القُرْآنِ المعْجِزِ.

١/٥- الرَّدُّ عَلَى جولد تسيهر في ادِّعَائِهِ أنَّ السُّؤالَ الوَارِدَ في القُرْآنِ عَلَى لِسَانِ الحواريين (٣) لا يُمْكِنُ أن يَصدرَ عَلَى لِسَانهم بعدَ إيمانِهِم باللهِ وبعِيسَى عليه السلام إلى آخرِ ما زعَمَهُ تَسيْهَرُ، ويُمكنُنا دَحْضِ مَزاعِمِ تَسيهرَ بما يَأْتِي:

---

(١) يُنْظَرُ: مادة إنجيل بهذه الدائرة.

(٢) يُنْظَرُ: البراهين العقلية والعلمية في صحة الديانة المسيحية، تأليف وجمع القائم قام ترتن، من فرقة المهندسين،٢١٧.

(٣) ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ سورة المائدة آية: ١١٢.

قِيلَ: إِنَّ المرادَ بـ" هَلْ يَسْتَطِيعُ " هَلْ يَفْعَلُ؟ كمَا نقُولُ للقَادِرِ عَلَى أَنْ يقُوم: هَلْ تَسْتطيعُ أنْ تقومَ؟ " إذ الاِسْتَطَاعَة مِنْ جُمْلةِ أَسْبَابِ الإيجادِ»[1].

وَمِنَ الشُّبهِ التي طُعِنَ بهِ القصُّ القُرْآنِيُّ أَنَّهم أنكَرُوا ما صَوَّرتْ قِصَّةُ عِيسَى مِن أَنَّهُ عَبدُ اللهِ وَرَسُولهُ وكَلمَتُهُ أَلقَاها إلى مَرْيَمَ وروحٌ منهُ؛ فزَعمُوا أَنَّه ابنُ اللهِ، وجاءَ الرَّدُّ من القسِّ النَّصرانيّ بابك في بحثِهِ: «انقلاب أو ثورة»، الذي أعلنَ فيه أنَّ المَسِيحَ نبيٌّ لا إِلَهٌ ولا ابنُ اللهِ، معتمدًا في هَذِهِ الحقيقة عَلَى الوثائق التي وجدها في كهفٍ "قمران" بالأردنِ؛ حيثُ عُثِرَ عَلَى جرارٍ حجريَّةٍ تَشتَمِلُ عَلَى مخطوطاتٍ تثبتُ أَنَّ المَسِيحَ نبيٌّ لا إِلَهٌ ولا ابنُ اللهِ، وفُحِصَ المخطوطاتُ بدقَّةٍ فَثبتَ أَنَّها وثائقُ تَارِيخِيَّةٌ حَقِيقِيّةٌ، كتبها كتبة دير الأسينسيين، ولَمْ يَكتَفِ القُسُّ بابك بإعلانِ كلّ ذلك، وإنَّما ظلَّ يُنقِّبُ في كَهْفِ قمران، ويدرسُ، ويُفَتِّشُ حتى قضَى نحبهُ، وهو يصوِّر تجربتهُ [2].

وهَكَذَا يتَّضحُ للمُتعَصِّبينَ مِنَ الـمُسْتَشْرِقينَ وأمثالِهم أَنَّ القَصَصَ القُرْآنِيّ يخلُو تمامَ الخلُوِّ منَ الأَخْطَاءِ التَّارِيخيَّةِ، وأَنَّه حُجَّةٌ تَارِيخِيَّةٌ، لا تَقْبَلُ الطَّعْنَ في إثبَاتِ ما قُصَّ من وقائعَ تَارِيخِيَّةٍ ، معَ كونِ القُرآنِ لا يهدفُ إلى العرضِ التَّارِيخيِّ بمعنَاهُ المعروفِ عندَ المؤَرّخِينَ؛ فقد هدفَ أن يَكُونَ عظةً وعبرةً وذكرَى للمؤمنينَ.

وَكَانَ حَرِيًّا بهَؤُلَاءِ الـمُسْتَشْرِقينَ أنْ يتَحاشَوا ادّعاءَاتهِم بالبحث العِلْمِيِّ الموضوعيّ حقًّا ، دونَ أنْ يخضعوا قصَّ القرآنِ لكتبِ العهدينِ القديمِ والجديدِ أو كتبِ العقائدِ المحرَّفَةِ، ويوضّحوا فيما كتبوهُ من حولياتٍ ودوائرَ

(١) الجرجاني حاشيته على الكشاف ،٦٥٤/١.

(٢)كان ذلك في الحادي عشر من نوفمبر عام ١٩٦٦م، يُنْظَرُ: أنور الجندي، مؤلفات في الميزانِ،١٢٨، ١٢٩.

معـارفَ مـا تضـمَّنهُ القَـصُّ القُرْآنِـيُّ مـن إشـاراتٍ لا تَخلُـو مـن أصـولِ علـمِ التَّارِيخ وفلسفتهِ، بأدقِّ نظامٍ وترتيبٍ.

كمـا أَنَّ جَهْلَ الـمُسْتَشْرِقينَ بلغـةِ القُرْآنِ وأسـرارِ التَّعْبيـرِ المعجـزِ هـو مـا دفـعَ الـمُسْتَشْرِقَ تسدل للادّعـاءِ بـأنَّ ثَمَّـةَ خَطَـأً تَارِيخِيًّا فـي الآيـةِ القُرْآنِيّـةِ: ﴿ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ ﴾ [1] مُعلّـلًا ذَلِـكَ بـأنَّ أحدًا من اليَهُود لم يقلْ: إنَّ مَرْيَم أختُ مُوسَى وهَارُون بقيتْ عَلَى قَيْدِ الحياةِ إلى أيَّامِ الـمَسِيحِ، إلَى آخِرِ مـا زَعمَهُ تسدلُ وغَيرُهُ، خَطَأً، أَنَّ القُرْآنَ يَقصِدُ أَنَّ مَرْيَم أمّ عِيسَى هيَ مَرْيَمُ أختُ مُوسَى وهَارُونَ!!

والوَاقِـعُ أنّ وصـفَ مَرْيَم أمّ عِيسَـى عليه السلام بأختِ هَارُونَ فـي الآيـةِ، مـنَ القضَـايَا القُرْآنِيَّـةِ التـي تناولهـا المفسِّرونَ بـين صِـحَّةِ التَّحقيقِ التَّـارِيخيّ فـي القُرْآنِ وقَصَصـهِ الـمُعْجِزِ، وإذا كـانَ تسدلُ زَعَمَ أنَّ المفسِّرينَ لـم يجدُوا لِهَذِهِ القضِيَّةِ سَبِيلًا، فيُمكنُنَا أَنْ نُوردَ نَماذِجَ ممَّا يَدحضُ شُبهتَهُ:

أ- يَرَى الزَّمخشَريُّ أنَّ هَارُونَ أَخُوهَا مِنْ أَبيهَا، وقِيلَ: بَلْ أَخُو مُوسَى، وكَانَ مِن أَعقَابِهِ في طبقةِ الإخوةِ وبينَ مريمَ وبينهَ أكثر من ألْفِ سَنةٍ ، وقِيلَ: هـي من أولادِهِ، وإنَّما قيلَ: يا أُختَ هَارُونَ، كَمَا يُقَالُ: يا أخَا همدانَ: لكلّ واحدٍ منهم، وقِيلَ: إنَّ هَارُون الصَّالحَ قد تبع أربعون ألفَ هَارُونَ في جنازَتهِ تبرُّكًا بهِ وباسمهِ [2].

ب- ورَأَى أَبُـو حيَّـانَ أنَّ هَـارُونَ شَـقِيقُها أَو أخُوهـا مِـن أُمِّهـا، أَو أَخُوهـا الأَقْرَبُ[3].

ج- وردَّ القاضـي عبد الجبـار بأنَّـهُ لا يَصِـحُّ أنْ يُقَالَ لها ذَلِكَ وبَينَها وبَينَ هَارُونَ أَخِي مُوسَى زَمَنٌ طَوِيلٌ؟ والجَوابُ: أنَّهُ ليس هَارُونَ أخَا مُوسَى؛

(١) سورة مريم آية: ٢٨.
(٢) يُنْظَرُ: الزمخشريّ، الكشاف،٥٠٨/٢.
(٣) أبو حيَّان، البحر المحيط،١٨٦/٦.

بل كانَ لها أخٌ بهذا الاسمِ، وإثباتُ القرْآنِ الاسمَ واللقبِ ليسَ دليلًا عَلَى كون المسمَّى واحدًا، وقيل: هيَ مِن ولدِ هَارُون، كقولِهِم للرَّجلِ منْ قريشٍ: يا أخَا قريشٍ(١)، وقيلَ:إنَّ هَارُونَ أَخُوها؛كمَا قالَ أبو حيَّانَ، ودليلُ ذَلِكَ أنَّ السّياقَ بعد ذَلِكَ يعرض لأبي مَرْيَم وأمِّها؛ أي إنَّ اللائمينَ لها، عائلتُها أبوها وأمُّها وأخوها (٢).

أمَّا شُبهةُ كَلَامِ عِيسَى عليه السلام في المهدِ فَمُعْجِزَةٌ كانَ لا بدَّ منها لإفحامِ اليَهُودِ حينَ اتّهموها بالفاحشةِ؛ فتَعدَّدَتِ الـمُعْجِزَاتُ لإظهَارِ برَاءتها فَهُنَاكَ مُعْجِزَاتُ الحَمْلِ، والولادةِ، والأكلِ مِن النَّخلَةِ اليَابسَةِ، والشُّربِ من الجدولِ الجافِّ، الذي أَفَاضَهُ اللهُ بالماءِ، ولكِنَّ تَسدلَ وَأَمثالَهُ وقفُوا أمامَ مُعْجِزَة نُطْقِهِ طِفلًا في المهْدِ.

فقدْ شاءَ ﷻأنْ يُنطقَ الغُلامَ في المهْدِ طِفلًا رَضِيعًا خِلَافًا لِكُلّ عَادَةٍ، رَحْمةً بمَرْيَم العَفِيفةِ الطَّاهِرةِ، تَأْكيدًا لِبرَاءَتِها وخُلُوِّ سَاحَتِها، ودَفْعًا لِأَلْسِنَةِ السُّوءِ، ومُعْجِزَةُ كلامِ عِيسَى طِفلًا لا تَقِلُّ في وقُوعِها عَنْ مُعْجِزَةِ مِيلَادِهِ من عَذْرَاءَ، ولا سيَّما أنَّهُ وُلِدَ مِن أُنْثَى دونَ ذَكَرٍ إتمامًا لطَلَاقَةِ القُدرَةِ الإلهيَّةِ؛ فآدمُ خُلقَ دونَ ذكَرٍ، أو أُنْثى، وحَواءُ مِن ذَكَرٍ بِلَا أُنثَى، وعِيسَى مِن أُنثَى بِلَا ذَكَرٍ، وسَائِرُ البَشَرِ مِن ذَكَرٍ وأُنثَى فهَذِهِ هي الصُّورُ الأربعُ لميلادِ البشَرِ، وكلّ صُورةٍ تناظِرُ أُختَها في دلَالَتِهَا وبُرهَانِها عَلَى قدرَتِهِ ﷻ، بل إنَّ خلْقَ الإنسانِ مِن ذكرٍ وَأُنْثى لا يقلُّ عن بقيةِ مُعْجِزَاتِهِ، فهَذِهِ قُدْرَةٌ تخلقُ النُّطْفَةَ وتُودِعُهَا في رَحِمِ الأمِّ، فيَنتَقِلُ إلَى عَلَقَةٍ، ثمَّ مُضْغةٍ، حتَّى يصيرَ إنسَانًا يفكِّرُ، ويُحِسُّ، ويَتَحَرَّكُ؛ وفي كلِّ مَرْحلَةٍ تتحَقَّقُ في المولودِ طَلَاقَةُ القُدرَةِ الإلهيَّةِ.

(١) يُنْظَرُ: عبدالجبار، تنزيه القرآن عن المطاعن،٢٤٧.

(٢) يُنْظَرُ: الرويني، تأملات في سورة مريم،٦٩.

ومُعْجِزَةُ كلَامِ عِيسَى في المهْدِ لا تقلُّ عظمةً عن ولادةِ أمِّه نفْسِها، ولا سِيَّمَا أنَّهَا دعوةُ حنَّةَ بنتِ قاعودٍ أمّ مَرْيَمَ، حينَ أرادتْ حنَّةُ امرأةُ عِمْرَانَ ذكرًا ليَكُونَ مُخَصَّصًا للعِبَادَةِ في بيتِ المقدسِ، محررًا منْ كلِّ التزامٍ لها نحوهُ، أو التزام لهُ نحوها، لكن الله سُبْحَانَهُ أراد غير ما أرادتْ؛ فلمْ يعطِها الذّكرَ، وإنَّما أعطَاها أُنْثى لها شأنٌ عظيمٌ في خِدمَةِ بيتِ المقدِسِ ، بلْ أُرِيدُ لها أنْ تحملَ بنبِيٍّ لأُمَّةٍ منَ الأمَمِ، فَجَاءَ كلَامُهُ كَمولِدِهِ لِطَلَاقةِ القُدرةِ الإلهيَّةِ.

وحينَما رأَتِ امرأةُ عِمْرَانَ أنَّ المولُودَةَ الأُنْثى، لَن تكونَ في خدمةِ بيتِ اللهِ، تمنَّتِ أنْ تكونَ المولودةُ طائعةً عابدةً فَسَمَّتها مَرْيَم؛ أي العابدَة، فما فاتَها في خِدْمَةِ بَيتِ اللهِ، فليكُنْ في خدمةِ عقائدِها ومَنْهَجِها في ذاتِها، وأرادتِ أُمُّها أنْ تحمِيَهَا من نزغِ الشَّيطانِ، بتركِ المعَاصِي كلِّها دَعَتْ ربَّها [(١)]، فصار عِيسَى هو ذريَّةَ مَرْيَم، وأعاذَها اللهُ وابنَها الذي تكلَّمَ في المهدِ منَ الشَّيطان الرَّجيمِ، فلم يَجعلْ لهُ عليهِما سَبِيلًا؛ فقد جاءَ عنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «كلُّ بني آدَمَ يطعنُ الشَّيطَانُ في جَنبِهِ حِينَ تلِدُهُ أُمُّهُ إلَّا عِيسَى ابنَ مَرْيَم ذَهَبَ يطعنُ فَطعنَ بالحِجَابِ»[(٢)]، كما جاءَ قولهُ ﷺ:«ما من مولودٍ يولدُ إلَّا مسَّهُ الشَّيطانُ حين يولَدُ فَيَستهِلُّ صَارِخًا من مسِّهِ إيَّاه إلَّا مَرْيَمَ وابنَهَا»[(٣)]، ثم يقولُ أبو هريرةَ راوي الحديثينِ:اقرأوا إنْ شئتُمْ:﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي

(١)﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ سورة آل عمران آية: ٣٦.

(٢) أخرجه البُخَارِيّ ،٤١٥/٦، كتاب بدء الخلق : باب صفة إبليس وجنوده. حديث (٣٢٨٦).

(٣) أخرجه البُخَارِيّ (٥٤١/٦) كتاب الأنبياء، (٣٤٣١)، ومسلم (١٨٣٨/٤)، كتاب الفضائل، باب: فضائل عيسى عليه السلام (١٤٦- ٢٣٦٦).

وَضَعَتۡهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ (١)،(٢).

وكلُّ هَذِهِ الـمُعْجِزَاتِ وغيرُها مما نرَاهُ في ولادَةِ عِيسَى وولادة أمّهِ تدلُّ عَلَى وجوبِ الإيمانِ بكمالِ قدرةِ اللهِ ﷻ وأنَّ الإنسَانَ حينَ يؤمنُ بِهَذِهِ المُعْجِزَاتِ فإنَّهُ من الأَوْلَى أَنْ يُؤمِنَ بكَلَامِ عِيسَى ابن مَرْيَم في المهدِ، ولقد دَخَل عِيسَى الوُجُودَ بالمُعْجِزَاتِ، وَخرجَ منهُ بأنْ رفَعَهُ اللهُ إلى السَّمَاءِ، ثمَّ يعودُ إلى الأرضِ في آخر الزَّمانِ، فيكسرُ الصَّليبَ كَمَا أَخبرَنَا ﷺ(٣).

وتحدثُ المُعْجِزَاتُ التي يُجرَيها اللهُ عَلَى يدِهِ؛ كما أجراها من قبلُ في حياتهِ الأُولَى(٤)؛ فلَا عَجَبَ أنْ يَتكَلَّمَ في المهْدِ، وأَنْ تنزَّلَ عَلَيهِ مَائِدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ؛ وهما ما يعدّاهما تسدلُ منَ أَخْطَاءِ التَّارِيخِ في القصِّ القُرْآنِيّ، لكونِهما فقطْ لم يَرِدَا في الأَناجيلِ المحرَّفَةِ، فإنَّ ذَلِكَ لا يُعدُّ وَثِيقةً يُحتجُّ بها عَلَى القُرْآنِ.

فالحقُّ أنَّ عِيسَى حينَ نطقَ في المهْدِ وَصَفَ نفسَهُ بِصِفاتٍ ثمانيةٍ؛ أوَّلُها اعترافُهُ بعُبودِيّتِهِ للهِ، وآخِرُها قولُهُ: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾ (٥) وكلّ هَذِهِ الصِّفاتِ دلائلُ لتَبْرئَةِ أمِّهِ الطَّاهرةِ البتُولِ، كأنَّهُ حين خصَّ نفسَهُ بالسَّلَامِ ، عرَّضَ بأنَّهم مستحقُّونَ ضدَّهُ؛ كَقولهِ تَعَالَى: ﴿ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ

(١) سورة آل عمران آية: ٣٦.
(٢) يُنْظَرُ: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،٣٥٩/١.
(٣) أخرجه البُخَارِيّ، كتاب الأنبياء، باب: نزول عيسى بن مريم عليه السلام، رقم:، ٣٤٤٨، ٥٦٦/٦، ومسلم،١٣٥/١، كتاب الإيمان، باب: نزول عيسى ابن مريم،٢٤٢-١٥٥.
(٤) مثل: إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وخلق الطير من الطين.
(٥) سورة مريم آية: ٣٣.

جِئْنَاكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ ﴾ [١] يعني أنَّ العَذابَ لِمَن أَعرضَ في مقَامِ المناكَرةِ والعنادِ؛ والسَّلامُ مِثْلُهُ في التَّعريضِ بهم[٢].

وكأنَّما تسدلُ وأضرابُهُ تغافلُوا عنِ أنَّ القُدْرةَ الإلهيَّةَ التي رفعَتِ السَّمَواتِ بلَا عَمَدٍ لا تَعجزُ عنْ إطلاقِ لسانِ طفلٍ بالكلَامِ، وبخاصَّةٍ الوصيَّةُ: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾ [٣] ؛ إذِ الوَصيَّةُ كما تتَأَخَّرُ تتقدَّمُ [٤].

وأمَّا شُبْهَةُ صَلبِ المَسِيحِ التي يزعمُ تسدلُ أنَّ القصَّ القُرْآنِيَّ أخطأ في نفيها: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ ﴾ [٥]، فهي شُبْهَةٌ أسهبَ كتَّابُ المَسِيحِيّةِ في سَرْدِها موهمينَ أن عِيسَى قد صُلِبَ وسُفِكَ دَمُهُ مِن أَجلِ تَخليصِ البَشَرِيَّةِ مِن خَطيئةِ آدَمَ، وهُو ما يُناقضُ ما جاءَ في كُتُبِهِم السَّماويَّةِ وقَوانينِهِم الوَضعيَّةِ مِن مَسئُوليَّةِ كُلِّ إنسَانٍ عن فِعلِهِ، وأَنَّ كُلَّ نفْسٍ بما كَسَبَتْ رهينةٌ، فكُلُّ فردٍ يُحاسَبُ عَمَّا اقترفَتْ يَداهُ، والوَلدُ لا يُؤْخَذُ بخَطيئَةِ الوَالِدِ، ولا يُعاقبُ أَحدٌ عَلَى ذَنبٍ ارتكَبهُ آخرُ؛ فقد جَاءَ في الكتابِ المقدَّسِ: «لا يُقتَلُ الآباءُ عَنِ الأَوْلادِ، ولا يُقتَلُ الأَوْلاد عنِ الآباءِ. كُلّ إنسَانٍ بخَطيئتهِ يقتلُ»[٦]؛ وهُوَ ما يدَحْضُ شُبْهتَهُم، وقدِ اخترتهُ من كُتبِهم التي يؤمنونَ بها ليَكُونَ مثالًا يُغني عنِ عشَراتِ الأمثلةِ في الرَّدِّ علَيهِ، وكان الأَقربُ أنْ أردَّ بقولِ الحقِّ: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا

(١) سورة طه آية: ٤٧.
(٢) الزَّمخشَرِيّ، الكشَّاف،٥٠٨/٢.
(٣) سورة مريم آية: ٣١.
(٤) يُنظرُ: عبد الجبار، تنزيه القرآن عن المطاعن، ٢٤٧، ٢٤٨.
(٥) سورة النساء آية: ١٥٧.
(٦) الكتاب المقدس، ترجمة الآباء اليسوعيين، ٣٤، الفقرة ١٦، ١٨٨٢م.

ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ ﴾ [1]؛ لأنَّهم يزعمُونَ أنَّ هَذَا القولَ منَ الأَخْطَاءِ التَّاريخيَّةِ في القصِّ القُرْآنِيِّ، وتجاهلُوا أنَّ ذَلِكَ قد رفعَ من قدر عِيسَى وردَّ الشُّبْهَاتِ عنهُ؛ فلم يرض لرَسُولهِ أن يذبحَ بأيدي أنجسِ الأُمم؛ بل كتبَ له التَّكريمَ والإعزازَ، وردَّ عنهُ كيدَ الكائدينَ، وجعل مصير السُّوءِ الذي أريدَ لهُ لنبيه لتلميذه الخائنِ الواشِي، فردَّ خِنجرَهُ الخائنَ لِصَدرهِ [2].

وهو ما يدحضُ شُبهةَ المُسْتَشْرِقينَ في القَصَص القُرْآنِيّ، التي دفعَهم إليها التّعصُّبُ والجهلُ ببلاغةِ القرآنِ؛ فالقُرْآنُ ليسَ مصدرًا للتَّاريخِ؛ بل يسبر فلسفَتهُ ليستخرجَ من العبرةَ والعِظَةَ للمُؤمنينَ دونَ أنْ يحرّفَ الحقائقَ من تاريخِ الماضينَ والأَنْبِيَاءِ السَّابِقينَ وأقوالهم مُنذُ آدَمَ إلى محمد ﷺ، في صِدقٍ تامٍّ ووَاقِعيَّةٍ، لا مَثِيلَ لهَا لتَكُونَ عِظَةً وعِبرةً يتأَسَّى بها النَّاسُ في كُلِّ زَمَانٍ ومَكَانٍ،وقد بلغَ القُرْآنُ غايَةَ الإِعْجَازِ في قصّ الأَحْدَاثِ التَّاريخيَّة، واستقلَّ بمَنْهَجٍ خاصٍّ في سَردِها؛ حِيْنَ رَكَّز عَلَى العظةِ والعبرةِ أوَّلًا ، ثمّ واقعيَّةِ المادَّةِ التَّاريخيَّة في وضوحٍ وإبانةٍ تتَّفِقُ معَ وصفِهِ بالكتابِ المبينِ، وآياتهِ بالبيّناتِ.

(١) سورة النساء آية: ١٥٧.

(٢) يُنظرُ: مرجان، المسيح إنسان أَم إلهٌ، ١٧٤، ١٧٥.

- **المَبْحَثُ الثَّاني**
- **المُستَشرِقُون وإعْجازُ القُرآنِ الكَرِيمِ**

مِنْ أَرْكَانِ الإيمانِ الأَسَاسيَّةِ الإيمانُ بالأَنْبِيَاءِ والمرْسلِينَ(١)، وقَدْ أَنْصَفَهم الإِسْلَامُ فوصَفَهم بأَنَّهم صَفوةُ اللهِ منَ البشَرِ، ونفَى عنهم الجهالاتِ والضَّلالاتِ التي ألحقَهَا بِهِم اليَهُودُ والنَّصَارَى؛ ممَّا يحقّقُ سعادة الإنسان في الدَّارينِ.

٢/١- طَبيعَةُ الرُّسُلِ:

- كلُّهُم بَشَرٌ، بخَصَائِصَ بَشَرِيَّةٍ من مَعْدِنٍ كَرِيمٍ، خَصَّهم الله تَعَالَى بمَواهِبَ عَقلِيَّةٍ ورُوحيَّةٍ ليَسْتَعدُّوا لتلقِّي الوَحْي عَنهُ (٢)﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ﴾ (٣) فمن رحمةِ اللهِ بعباده أن جعلَ الرُّسلَ بشرًا لتتحقَّقَ الأُلفَةُ بينَ الرُّسلِ والنَّاسِ؛ ليَتحمَّلَ النَّاسُ رُؤيتَهم ولا يَعْجبُوا مِن خِلْقَتِهِم:﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ ﴾(٤)؛لأنَّهم إذَا شاهَدُوا مَلَكًا في صُورتِهِ زهقتْ أرواحُهُم مِن هَولِ صُورتِهِ، ولو جُعِلَ الرَّسُولُ ملَكًا لأُرْسِلَ في صُورةِ رَجُلٍ؛ كَصُورةِ جِبريلَ عليه السلام حينَ نزلَ عَلَيهِ ﷺ في صُورَةِ دِحيةِ

---

(١)﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ - سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

(٢) يُنْظَرُ: ابن باديس، العقائد الإسْلَامية، ١٥٥.

(٣) سورة فصّلت، الآية: ٦.

(٤) سورة الأنعام، الآيتان: ٨، ٩.

الكلبيّ؛ فيهدأ النّاسُ؛ إذ رَأَوهُ إنسانًا؛ فَلبسَ الأَمْرُ عَلَى القَومِ لمشَابهَتِهِ بهِم.(١).

ولم يكُنْ مُشْرِكُو العرَبِ هُم أوَّلَ منِ استنكَرَ أنْ يَكُونَ الرَّسُولُ منَ البشَرِ، وأنَّهم يريدُونَ ملائكَةً، بل سَبقَهُم السَّابِقِونَ؛كقومِ نوحٍعليه السلام؛ حينَ أَعرضُوا عَن سمَاعِه؛ لأنَّهُ بشَرٌ لا ملكٌ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾(٢).وقالها قومٌ جَاءُوا بعدَ قومِ نوحٍ (٣).

وَقِيلَ: هُمْ قَومُ عادٍ؛ فقدْ كانُوا مستخلفينَ بعدهُ، وَقِيلَ: هُمْ قَومُ ثمودَ لقولهِ ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ (٤) لأَنَّهم أَبَوا اِتِّبَاعَ رسُولِهم لِكَونهِ بَشَرًا لا مَلَكًا(٥)، وقَالَها قَومُ فِرعَونُ ومَلَؤُهُ عندَما أرسلَ اللهُ مُوسَى وهَارُونَ عَليهِمَا السَّلَامُ:﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ

(١) يُنْظَرُ: النسفيّ، تفسيره،٤٥٦/٧.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ٢٣-٢٤.

(٣)﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾سورة المؤمنون، الآيات: ٣١-٣٤.

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٤١.

(٥)يُنْظَرُ: ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، ٢٤٥/٣.

ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾[١]؛ فقَدِ اِستَكبرُوا عَنْ أَتْبَاعهما لكونِهما بشرينِ؛ كما أَنْكَرتِ الأُممُ الماضيةُ بعثةَ البشَرِ؛ فقَدْ تشابهتْ قُلوبُهُم [٢].

إذًا فالرُّسُلُ بَشَرٌ لا ملَائِكَةٌ لنتَأَسَّى بهِم، فإرْسَالُهُمْ بَشَرًا مُوافِقٌ للفِطْرةِ البَشَرِيَّة ولطَبيعتهِ المركَّبةِ مِنَ الجَسَدِ والرُّوحِ.

٢/٢- التَّعْرِيفُ بِنَبيّ اللهِ إبْرَاهِيمَ عليه السلام [٣]:

٢/٢/١- نَسَبُهُ: يعرفُ الخليلُ عليه السلام بأنَّهُ أبو الأَنْبِيَاءِ، وذَلِكَ أنَّ ولديهِ إسماعيلَ وإسحاقَ اصطفَاهما اللهُ بالنُّبوَّة، وقد ولد لإسحاقَ يعقوبُ، وإلَيهِ يَنتسِبُ أَنْبِيَاءُ بني إسرائيلَ حتَّى آخرِهِم عِيسَى عليه السلام، وإسماعيلُ أبُو العرَبِ، ولم يُوجَدْ من سُلالتهِ أَنْبِيَاءٌ سِوَى مُحمَّدٍ ﷺ[٤]: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[٥] ؛ وبِذَا فإبْرَاهِيمُ الأبُ الثَّالِثُ للعالمِ [٦]؛فَالأَبُ الأَوَّلُ آدَمُ عليه السلام، والثَّانِي نوحٌ عليه السلام، والثَّالِثُ إبْرَاهِيمُ عليه السلام [٧]، ونَسَبُهُ في القُرْآنِ إبْرَاهِيمُ بن آزرَ، ولم يذكرِ أعلَى منْ هَذَا النَّسَبِ،

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ٤٥-٤٨.

(٢)يُنْظَرُ: ابن كثيرٍ ، تفسير القرآن العظيم ،٣/٢٤٥.

(٣) يُنْظَرُ: الطَّبريّ ،جامع البيان،٢/٥٤٠-٥٦٠، وابن كثير، لجامع لأحكام القرآن،٢/٩٦-١٤٠، ومعالم التنزيل،١/١٤٥-١٥٠، والسَّيوطي، الدر المنثور،١/٥٩٧-٦٣٤.

(٤) الخولي، تاريخ الدعوة، ١/١٤٥.

(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٢٧.

(٦)﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٧) الأميري، إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم، ٢٨، الأميري، فقه دعوة الأنبياء، ١٦٦.

ولكنَّ نَسَبَهُ في العهدِ القديمِ "إِبْرَاهِيمُ بن تارحِ بن ناحورَ ...بن سام بن نوحٍ عليه السلام»[1].

٢/٢/٢- حَيَاتُـهُ وبِيئَتُـهُ: لمْ يَذكُرِ القُرآنُ شيئًا عن ميلَادِهِ أو عصرِهِ، وإنْ رَسَمَ صُورةً حيَّـةً لحيَاتِـهِ، وأهلِـهِ، وعِبَـاداتِهم، وحكَّـامِهِم[2]، وقدِ اختلفَ العُلَمَاءُ في الموضعِ الذي وُلِدَ فيهِ، فقال بعضُهم: في السُّوسِ بِالأهوَازِ، وقِيلَ ببابلَ، وقِيلَ بنَاحِيَـة كُوْثَى، وقِيلَ بالوركاءِ بنَاحِيَةِ الزَّوَابي وحُدُودِ كَسْكَر، ثمَّ نقلهُ أبوهُ إلى الموْضِعِ الذي كَانَ بـه نَمرُودُ منْ نَاحِيَةِكُوْثَى، وقِيلَ: مولدُهُ بحرَّانَ، ولكنَّ أَبَاهُ نَقلَهُ إِلَى أَرْضِ بابِلَ[3]،، وقِيلَ: إنَّ ولدَ بهرمزجردَ، ثمَّ انتقلَ إلى كوثى ببابلَ[4]، وقِيلَ ولدَ بغوطـةِ دمشقَ في قَرْيةِ برزَةَ في جَبلِ «قاسيُونَ» ، وقِيلَ ولِدَ ببابلَ، ولكنَّهُ نُسِبَ إليه لأنَّه صلَّى فيهِ؛ إذْ جاءَ معينًا للُوطٍ عليه السلام [5].

وقِيلَ :إنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام مِنَ العِراقِ مِنَ الكَلْدَانيّينَ، لكِنَّ القُرْآنَ لم يُحدّدِ البلَدَ التي خَرَجَ منها، ولا القَومَ الذِينَ أُرْسِلَ إِلَيهِم؛ لذَا لا تعيينَ للبلدَةِ التي وُلِدَ فيهَـا عليه السلام، ولَكِـنَّ اللهُ ﷻاصـطفَاهُ، واختـارهُ للرّسـالةِ وهـداهُ إلـى صِـراطهِ المسْـــــتقِيم: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [6]، واختَصَّهُ بالنُّبُوَّةِ[7]﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾ [8] وَهُوَ مِنَ مِـنَ الأَنْبِيَـاءِ الـذينَ أَخَـذَ اللهُ مـنهُم الميثـاقَ ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ

(١) ابـن كثيـر ، البدايـة والنهايـة، ١٥٩/١، الطبـريّ، تـاريخ الأمـم والملـوك،٢٣٣/١٥، النجار، وقصص الأنبياء، ٩٣.

(٢) ينظر: بهجت، أنبياء الله،٧٦.

(٣)الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك،٢٣٣/١، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩٤/١.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٤٦/١.

(٥)ابن كثير ، قصص الأنبياء، ١٢٨.

(٦) سورة النحل، الآية: ١٢٠.

(٧) الشوكاني، فتح القدير، ٢٠٢/٣.

(٨) سورة مريم، الآية: ٤١.

وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾ [1]، وكَمَا اتَّصفَ بالنُّبُوَّةِ اتَّصفَ بالرِّسالةِ ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [2] وظَاهِرُ الآيَةِ الآيَةِ أَنَّ رِسَالَتَهُ تَضمَّنَتْ أَمرًا إِلَهيًّا [3].

وقد أفاضَ القصُّ القُرْآنِيُّ في الحديثِ عَنْ دَعوتِهِ عليه السلام، وما واجَهَهُ من صِعَابٍ في سَبِيلِ نَشرِها ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾ [4]،كَمَا قصَّ القُرْآنُ جهادهُ في دَعوتِهِ عليه السلام لقومِهِ ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [5]؛ فقد بلغَ الغايَةَ في جِهَادِهم، وحثِّهم عَلَى الإيمانِ باللهِ تَعَالَى، وتَركِ عِبَادَةِ الأوثانِ.

وقصَّ القُرْآنُ قِصَّتَهُ معَ الملكِ النَّمرُودِ ومحاجَّتَهُ إيَّاه ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣٦.
(٣) يُنْظَرُ: إبراهيم، دعوة الرسل،١/٢٨١.
(٤) سورة مريم، الآيات (٤١-٤٥).
(٥) سورة العنكبوت، الآيات: ١٦-١٧.

قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ (١).

وَقَدْ جمَعَ اللهُ لِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام فِي القُرْآنِ الفضَائلَ كُلَّها، والصِّفَاتِ أَجمعَها؛ لأَنَّهُ أَبُو الأَنْبِيَاء، وأَمَامُ الأَتقياءِ، وخير الأَوفياءِ؛ فقد ورد ذكرهُ في خمسٍ وعشرينَ سُورَةً مَكّيَّةً، ومَدَنيَّةً(٢)،ومن عظيمِ مكانتهِ عند الله ﷻأن سمّيَتْ سُورَةٌ باسمه عليه السلام إعلاءً لمنزلتهِ، وإكرامًا لِشَأْنِهِ(٣).

والسُّؤَالُ: لِمَ خَصصنا قصَّةَ إبراهيمَ مع تداولها في أبحاثٍ أخرى؟ والإجابةُ أنَّ قصَّةَ إبراهيمَ عليه السلام تُمثّلُ النَّواة الثّقافيّةَ لقصصِ الأنبياءِ؛ فمِن الشّبهاتِ الاستشراقيَّةِ حولَ قصّتهِ مَا يَأْتِي:

٢/٣- الإِمَامَةُ والنَّواةُ الثَّقَافِيَّةُ:

فتّتَسمُ قصَّةُ إبراهيمَ عليه السلام بالاتِّصَالِ السَّردِيِّ والاتّحادِ في المقامِ، أَيْ وجُود تَصوُّرٍ لقِصَّةِ إبراهيمَ في مقامِ القَصّ عنِ الأنبياءِ، حتَّى لَو كَانَ خَارجًا عَن مقامِ القَصِّ عنْهُم، جازَ لنَا تَصوُّرُهُ دَاخِلًا في التَّداولِ التّصوريّ والحقيقِيّ، ويتأكّد الاتِّصالُ السَّرديُّ فيما يُسمَّى بالاتِّصال الثَّقافيّ، ومَن يَتتَبَّعْ قصَّتَهُ لدى الثَّعلبيّ" في قصة إبراهيم" وابن كثيرٍ ، ونعمة الله الجزائريّ وعبد الوهاب النَّجَّار ،وأحمد جاد المولى يَرَ الأُسُسَ التي تَدورُ حولها النَّواةُ الثَّقافيَّةُ، حتَّى لا نجدُ قصًّا يغفلُ علاقاتِ عناصرِ السّردِ بعضِها بعضًا، وكُلُّهم يعرضونَ لهذه العلاقاتِ.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.

(٢) هي سور: البقرة، آل عِمْرَان، النساء، الأنعام، التوبة، هود، يوسف، إِبْرَاهِيم، الحجر، النحل، مَرْيَم، الأَنْبِيَاء، الحج، الشعراء، العنكبوت، الأحزاب، الصافات، ص، الشورى، الزخرف، الذاريات النجم، الحديد، الممتحنة، الأعَلَى.

(٣) ينظر: العبدوليّ، النبي إبراهيم في الثقافة العربية،١٠٨-١٠٩.

وَيَبْدُو الاتِّصالُ السَّردِيُّ في تدَاخُلِ العَلَاقاتِ لا في استِقْلالِها، وممَّا لا شَكَّ فيه أنَّ هذا التَّقْسيمَ ليسَ تقسيم قصَّاصٍ، وإنَّما عائدٌ إلى المتلقّينَ باعتبارِهِ إجراءً ضمنيًّا في تحقيقِ التَّواصُلِ السَّردِيّ في قَصصِ الأَنبياءِ متصلةً لا مُنقطعةً، وهيَ القِصَّةُ التي حقَّقَتْ هذهِ السِّمةَ في الفِكرِ السَّردِيّ[1]؛ فقد بين السّردُ قِصّتهُ يقِظًا ونائمًا، ووقائعهِ في الصَّحْوِ والنَّومِ، وما يدورُ في داخلهِ من مونولوج، وما يحاورُ به قومَهُ وأهلَهُ وأعداءَهُ، ويتجَاوزُ صفاتهِ الشّخصيَّةَ إلى صِفاتِ المعَاندِينَ المكَابِرينَ، والابنِ إلى الأبِ، والبُشرَى والتُّقَى والسَّكِينةِ إلَى الصِّراعِ والاختبارِ الصّعبِ بفقدِ الوَلدِ وهكذا إلى أن تضمّ القصّة كلّ ما تعرّضَ لهُ الأَنْبياءُ جَميعًا؛ ممَّا جَعلَ قِصّتَهُ نواةً سَردِيّةً ثقافيّةً، تغري المشَكِّكين بالنَّيلِ منها لينفرطَ العقدُ؛ فهو إمامُ الأَنْبياءِ ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[2].

٢/٤- الحنيفيَّةُ وإنكارُ الوجودِ وشُبهةُ اليَهُوديَّةِ:

أَثارَ المستَشرقُ فنسكُ شُبهةَ اعتناقِ إبْرَاهِيمَ عليه السلام لليهُوديَّةِ؛ فادّعَى أنَّ النَّبيّ ﷺ اِعتصَمَ بيَهُوديَّةِ إبراهيمَ ليُوَاجهَ بها عَدَاوةَ قَومِهِ، كَما يرَى أنَّ السُّورَ المكيَّةَ كلَّها لمْ تُثبتْ صِلَةً لإبراهيمَ بإسماعيلَ، معَ أنَّ القرآنَ يذكُرُ مُساعدةَ إسماعيلَ لأبيهِ في قصّة بناءِ البَيتِ المعْمُورِ، وَيَزعمُ أنَّ إبرَاهيمَ لم يَذْهَبْ إلى مَكَّةَ، وأنَّ الإسلَامَ ليسَ دِينًا، ولا صِلةَ لهُ بملَّةِ إبرَاهيمَ الذي يَنفِي أنَّهُ لمْ يَرفَعْ قَواعِدَ البَيتِ[3]، بَلْ وَصَلَ الأمرُ أَنْ أنكَرُوا وُجُودَهُ[4]

(١) ينظر: العبدوليّ، النبي إبراهيم في الثقافة العربية ،٤٠٠-٤٠١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.
(٣) ينظر: فنسك، دائرة المعارف الإسلاميَّة،٢٧/١-٢٩.
(٤) ينظر: سوسة، مفصل العرب واليهود في التاريخ،٢٦٠-٢٦١.

وَممَّا يَدْحَضُ شُبْهَةَ المستَشرقِ فنسكِ في نِسبةِ إِبْرَاهِيمَ لليهُوديَّةِ وَصفُ الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى بأنَّهُ حَنيفٌ في عدَّة مَواضعَ[1] منهَا: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[2]، وأنَّهُ أُمَّةٌ وحدَهُ ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[3]، ووصفُ إبراهيمَ بالعبرانيّ لا تعني العبْرِيَّ بلِ البدويَّ العَربيَّ[4].

وممّا يدحضُ شُبْهتَهُ أَنَّ سُورةَ إبراهيمَ مَكّيَّةٌ إلَّا الآيتين:٢٨، ٢٩، ومَعنَى ذَلِكَ أنَّ قَولَهُ تَعَالى:﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[5] ممَّا يَدُلُّ على أنَّ فنسكَ اعتمَدَ ماوردَ في الأناجيل، ولم يتّبعِ المنهَجَ العلمِيَّ الموضُوعِيَّ؛ فهَا هِي ذِي سُورة إبراهيمَ مكّيَّةٌ، وبخاصَّةٍ الآياتُ التي تؤكّد أنَّ إسماعيلَ بنَ إبراهيمَ، عليهما السّلامُ، قدِ التقيا في مكةَ، واشترَكَا في رفعِ قواعدِ البيتِ الحرامِ.

ولقدْ أظهرتِ المُدوَّناتُ التّاريخيَّةُ والآثار الحديثَةُ أنّ وجودَ إبراهيمَ في مكَّةَ حقيقةٌ لا شكَّ فيها[6]

وممَّا يدحضُ شُبهةَ انتفاء العلاقةِ بين إبراهيمَ والإسلَامِ قولُهُ تعالَى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[7] ، ، فالعَلَاقةُ وَثيقَةٌ بينَ إبراهيمَ وملَّةِ الإسلَامِ الدّينِ الحقِّ.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٧.

(٣) سورة النَّحل، الآية: ١٢٠.

(٤) ينظر: سوسة، مفصل العرب واليهود في التاريخ،٢٥٦.

(٥) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

(٦) أبوسيف، الخليل إبراهيم في الكتاب والسُّنَّة ودعواته وهجراته وردّ شُبه المستشرقين،١٦١.

(٧) سورة الذارياتِ، الآية: ٣٥ – ٣٦ .

٢/٥- شُبهةُ التَّفاصيلِ لإنْكَارِ النُّبُوَّةِ الخاتمةِ:

حَاوَلَ كَثيرٌ منَ المستشرقينَ الطَّعنَ في تفَاصِيلِ قِصَّةِ إبراهيمَ للطَّعنِ في نبوَّةِ النَّبيّ ﷺ؛ فقدْ تـوَّج اللهُ ﷻ صِفَاتِ خَلِيلِهِ عليه السلام بالنّبُوَّةِ في أعلَى دَرَجَاتِ التَّكريمِ، وأعظَمِ المنَحِ، وأكْرمِ المنَنِ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾ (١).هَذَا وقَدْ نَسَجَ المُسْتَشْرِقونَ شُبُهًا حَولَ قصَّةِ نبوَّةِ إبْرَاهِيم عليه السلام؛ فَقد زعَم كاتبُ مادَّةِ: "إبْرَاهِيم" عليه السلام في دائرة المعارفِ الإسْلَامِيَّةِ الاِسْتِشْرَاقِيَّةِ أنَّ المُسْتَشْرِقَ "شبرانجر" أوَّلُ مَن لاحظَ أنَّ قصَّةَ إبْرَاهِيمَ القُرْآنِيَّةِ مَرَّتْ بأطْوارٍ إلى أَنْ أَصبحَ مُؤسّسَ الكَعْبةِ (٢)، ثمَّ نسجَ عَلَى منوالهِ مُسْتَشْرِقٌ آخرُ، وتوسَّعُوا في بَسطِ الدَّعاوى فَرأَوا أنَّ مَراحِلَ قِصَّةِ إبراهيمَ يُمكِنُ تَرتيبُها عَلَى هذَا النَّحْوِ منذُ جاءتْهُ الملائكةُ ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٣) وما نجمَ عن هذه الزّيارةِ، وردّ فعلهِ تُجاهَهم، وحديثه مع زَوجِهِ، ﴿ وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ ﴾ (٤). وأنَّهُ مِنَ المؤمنينَ باللهِ، ﴿ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ (٥) وكَيفَ وَاجَهَ عِبادَاتِهم ووَثنيَّتَهم ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٧٤﴾ ﴾ (٦) (٦) ثمّ معاناتِه في شَيخوختهِ وزوجِهِ العَجُوزِ معَ الإنجابِ﴿ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴿٧٢﴾ ﴾ (٧) وصِراعِهِ الدّينيّ

(١) سورة مريم، الآية: ٤١.
(٢) ينظر: دائرة المعارف الإسْلَامية،٢٢/١.
(٣) سورة الذاريات: ٢٤.
(٤) سورة الحجر: ٥١.
(٥) سورة الصفات: ٨١.
(٦) سورة الأنعام: ٧٤.
(٧) سورة هود: ٧٢.

مـعَ أَبيـهِ آزرَ ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ ﴾ [1] ومُحاولتـه إقنـاعهم بعـدمِ جَدْوى الأَصنامِ وهشَاشَـة فكْرةِ عِبادَتِها ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [2] ومُحـاوَلتهم مُوَاجهتـه والقضَـاء عَليـهِ،بل إحراقـهِ، وتَنْجيَـة اللهِ لـهُ ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [3]. فهـو رَسُـولٌ حمـلَ أمانـةَ الله، فأَنذرَ قَوْمَـهُ وأَبلغَهُم، ومعَ كلِّ ذلكَ أَنْكرَ المستَشْرقونَ نُبوَّتَـهُ، كمَا أَنْكَرُوا صِلةَ إسماعيلَ بـهِ، وسرُّ هَذِه الشُّبهةِ ادّعاؤهم أنَّ النّبـيَّ ﷺ اعتمد عَلَى يَهُود مَكَّةَ، فَلَمَّا اتَّخذُوا العداءَ ضِدَّهُ، فالتمَسَ ناصِرًا غيرَهم؛ فهداهُ ذَكَاؤُه إلـى أبـي العـربِ إِبْـرَاهِيمَ، ليسـتبدلَ بِيَهُوديَّـةِ عَصـرِهِ يَهُوديَّـةَ إِبْـرَاهِيمَ للتَّمْهِيـدِ للإِسْلَامِ، وإسناد تشييدِ البيتِ الحرامِ لهُ[4].

وهكَـذَا تَوصَّـلَ الـمُسْتَشْرِقونَ بعـدَ تتبُّعهم لمعظَـمِ آي القُـرْآنِ المعنيَّـةِ بخليـلِ الـرَّحمنِ عليه السلام إلـى نتيجـةٍ مؤدَّاهـا، حسْـبَ زَعْمِهم: أنَّ الرَّسُـولَ ﷺ أَرادَ اسـتِغلالَ اليَهُـودِ فـي بِدايـةِ دَعْوتـهِ، والتَّسـتُّرَ خَلفَهـم، فَلـمْ يوفَّـق إلَـى ذَلِـكَ، فاحتَالَ؛ ولفَّق مركزًا مرموقًا لأبي العرَبِ إِبْرَاهِيمَ؛ للتَّخَلُّصِ مِن يهُودِ عَصْرِه؛ بنفوذِهِم الدِّينيّ في يثربَ، واختَلاقِ ذَريعةٍ للعَودةِ إلى مَكَّةَ، وبَسْطِ سُلطَانِهِ عَلَيها؛ وبذا يتوصَّل الخطـابُ الاستشراقيّ فـي ادّعاءاتـهِ عَلَـى اعتقادِهِ بـأنَّ القُرْآنَ كلَامُ رَسُولِ الله ﷺ البَشَرِيُّ تَفتَّقَ عنهُ ذِهنُهُ ﷺ.

(١) سورة مريم: ٤١.
(٢) سورة الأنبياء : ٥١.
(٣) سورة العنكبوت: ١٦
(٤) دائرة المعارف الإسْلَامية (٢٧/١، ٢٨).

إذًا فَهدفُ الـمُسْتَشْرِقينَ من طعنهم في التّفاصيل الطَّعنُ في نبوّةِ النّبيّﷺ؛ ولذَا تتَّلخَّصُ شبهتُهم في أمرينِ:

الأَوَّلُ: الإِسْلَامُ المكِّيُّ غيرُ الإِسْلَامِ المدَنِيّ ؛فالقُرْآنِ المكِّيُّ لم يذكرْ كونِ إبراهيمَ أَبًا للعربِ، وبانيَ البيتِ، ولا صِلَةَ لهُ بإسماعيلَ. والثَّانِي: أنَّهُ النَّبِيّ لما هاجرَﷺ إلى المدينةِ استبشرَ أنْ يُؤمِنَ بهِ اليَهُودُ، ويظاهرُوهُ، ولما أَخلفُوهُ أرادَ أن يتَّصِلَ بهِم عنْ طَرِيقِ إِبْرَاهِيمَ، وعبَّر عن ذَلِكَ بِيَهُودِيَّتِهِ. ويُمْكِن الردُّ عَلَى هَذِهِ الشُبْهَةِ مِن خِلَالَ أُطُرٍ ثَلَاثةٍ:

٢/٥/١- يدّعي الـمُسْتَشْرِقونَ أنَّ السُّورَ المكيَّةَ لم تذكرْ أيَّةَ صِلةٍ لإسماعيلَ بإِبْرَاهِيمَ، وهدفُ الشُّبهةِ التّرويجُ لفكرةِ أنَّ محمدًا ﷺ لم يذكرْ صِلةً لِلعربِ بإِبْرَاهِيمَ وإسماعيلَ إلى أنْ هَاجَرَ للمَدينَةِ، فوصلَ حبلَ العربِ باليَهُودِ عن طريقِهما. ويدلُّ عَلَى فسادِ هَذِهِ الشُّبْهَةِ الإِسْتِشْرَاقيَّةِ أَمرَانِ:

أ- أنَّ هَذِهِ الفكرةَ تهدمُ التَّوراةَ قبلَ أن تهدمَ القُرْآنَ في زَعْمِهم، لأنَّها ذكَرتْ صلةَ إِبْرَاهِيم بإسماعيل، وأنَّهُ جدُّ عِدَّةِ قبائلَ في بلادِ العرَبِ(١).

ب- فسادُ الاستدلالِ عَلَى هَذِهِ الشُّبْهَةِ، فَحِينَ عَدَّدَ الـمُسْتَشْرِقون السُّورَ المكّيَّةَ عَمَدُوا إلى السُّورِ التي يُذْكرُ فيها إِبْرَاهِيمُ مجرَّدًا عن الصِّلةِ بإسماعيلَ والعربِ؛ لذَلِكَ تخطّوا سُورَةَ إِبْرَاهِيمَ المكيَّةَ، لأنَّها تَشْهَدُ بِعَكْسِ ما يَقولُونَ، وآياتُها شَاهِدةٌ بأنَّ إِبْرَاهِيمَ وإسماعيلَ بنيا البيتَ؛ ودعوا الله بالهدَايةِ، وأن يجنِّبَهُ وبَنيهِ عِبَادَةَ الأصنَامِ، وأنَّهُ أسكنَ من ذُريَّتِهِ بوادٍ غيرِ ذي زرعٍ عند البيتِ الحرَامِ، والدُّعاء أن يرزُقَهم منَ الثَّمَراتِ، ويَحمدَ الله أنْ وَهبَ لهُ إسماعيلَ وإسحاقَ (٢)، ولا يُمْكِن أن يُقالَ: إن هَؤُلَاءِ

(١) ينظر: سوسة، مفصل العرب واليهود في التاريخ،٢٦٢-٢٦٣.

(٢)﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ =

الـمُسْتَشْرِقينَ لـم يعرفُوا هَـذِهِ الآيـاتِ، ولـمْ يَلْتَفِتُوا إِليهَـا، بـلِ الحـقُّ أَنَّهـم تخطَّوها عَمدًا غاضّينَ النَّظَرَ عمَّا تَقضِـي بـهِ الأمانـةُ العِلْمِيَّـةُ، فـي سَبِيلِ تأييدِ نظريَّتِهم، وَافتِراضَاتِهم المسبقة»[1].

ومن هُنا يتَّضِحُ خيانةُ "فنسنك وسنوك" للمَنْهَجِ العِلْمِيّ وعدمُ إنصَافِهما فـي البحـثِ، فيمـا يَتَعَلَّـقُ بـالقصِّ القُرْآنِـيّ، ولـو كانَـا منصـفينِ لـذكرَا الحـقَّ، والواقعَ الثَّابتَ في الكتبِ المقدَّسَةِ.

٢/٥/٢- وبالنِّسبَةِ لِشُبْهَةِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أملَ أَنْ يعتزَّ باليَهُودِ؛ فإنَّهُ ﷺ ما أملَ أن يعتزَّ باليَهُودِ، ولكنَّهُ رآهم أهلَ توحيدٍ يرفضُونَ عِبَادَةَ الأَصْنامِ، ويُعادونَ أهلَها، وقدْ ذُكِرَ ﷺ في كُتُبِهم ،ولم يتوقَّعْ أنْ يكتمُوا ما أنزل الله مِن الحقِّ، فلمَّا جحدُوا صارُوا كَغَيرِهم. ومَعْلُومٌ أنَّ القُرْآنَ نَفَى أنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا؛ لأنَّ اليَهُودَ أبناءُ إسرائيلَ ولدِ إسحاقَ، وغريبٌ أنْ يَكُونَ المتقَدِّمُ مَعْزُوًّا وتَابعًا لِوَلَدِ وَلدهِ الذي لم يرهُ، ولم يعاصرْهُ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[2].

=

أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ ﴾ سُورَة إِبْرَاهِيم، الآيات :٣٥-٤١.

(١) النجار، قصص الأنبياء، ٩٨، ٩٩.

(٢) السّابق نفسه، والآية من سورة آل عمران رقم :٦٧.

٢/٥/٣- لم يعتَزّ الإسْلَامُ قطُّ بالانتسَابِ إلى يَهُوديَّةِ إبْرَاهِيمَ، ولَكِنَّهُ نَعَى عَلَى اليَهُودِ عَقِيدَتَهم في يَهُودِيَّتِهِ[١]، وما كَانَ الإسْلَامُ في عَهدٍ مِن عُهُودِهِ بحاجَةٍ إلى اليَهُوديَّة؛ كما يقُولُ فنسنك، وبالنِّسبَةِ لبناءِ الكَعْبَةِ فقَد كانَتْ بناءً مربَّعًا، والعربُ تُسَمِّي كُلَّ بنَاءٍ مُربَّعٍ كَعبةً، ليَجْعلُوهُ مُصَلَّى، وإنْ لمْ يَكُونُوا بنائينَ، فَهَلْ نَسْتَبْعِدُ عَلَى إبْرَاهِيمَ، وكَانَ نبيًّا بإجماعِ الأُممِ أَنْ يَبنيَ لَهُ ولابنهِ بناءً مِن هَذَا الطِّرازِ يُصَلِّيانِ فيهِ، وممَّا يدلُّ عَلَى أنَّ النَّبِيّ ﷺ لم يتَّخذْ الكَعْبةَ أَسَاسًا لِدَعْوتهِ أنَّهُ أمرَ أَصحَابَهُ أنْ يتَّخذوا بَيتِ المقدِسِ قبلةً لهم طُوالَ مُقامهِ بمكَّةَ[٢].

٢/٥/٤- بالنِّسْبَةِ لِشُبْهَةِ المُسْتَشْرِقينَ في أنْ يَكُونَ إبْرَاهِيمُ، أو إسماعيلُ رَسُولًا إلى العَربِ مُستندينَ بِقولِهِ تَعَالَى: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [٣]. فالجَوَابُ عَلَى هَذَا هُو: أنَّ المفسِّرين يقُولُونَ إنَّ معنى ذَلِكَ أنَّ الموجُودِينَ مِن هَؤُلَاءِ القومِ لم يباشِرهم رَسُولٌ يُبلِغُهم دينَ اللهِ، ويهدِيهم إلى الدِّينِ الحَقِّ، فلا تَناقضَ؛ لأنَّ تبليغَ إسماعيلَ أو إبْرَاهِيمَ إنَّما كَانَ لآبائِهِم، أَو أَنَّ العَرَبَ كانَ دِينُ كَثيرٍ مِنهُم عِبَادَةَ الأَوْثانِ، وكانَ لَهُم قَرابينُ يُقدِّمُونها إليهَا، وقَدْ سنُّوا لَهُم سُنَنًا وشَعَائِرَ ما أَنزَلَ اللهُ بها مِن سُلْطَانٍ، فجَاءَ محمَّدٌ ﷺ لينذِرَ هَؤُلَاءِ القومَ الذينَ يدَّعونَ أنهم عَلَى دينٍ، وأنَّ اللهَ قد أمرَهم بما هُم عليهِ، مع أنَّ الله ما أرسلَ إليهم نذِيرًا شَرعَ لهُم هَذِهِ الشَّرائعَ البَاطِلَةَ؛ لأنَّهُم كانُوا إذَا ظَلَمُوا أنفُسَهم بشرائعِهِم الباطِلَةِ قالُوا وجَدْنا عَليهَا آباءَنا واللهُ أمرَنَا بهَا، وقدْ

(١) ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ سورة آل عمران، الآيتان ٦٥، ٦٦.

(٢) يُنْظَرُ: حمودة ،من زلات المستشرقين، ١٥٠، ١٥١، ١٥٩.

(٣) سورة يس، الآية: ٦.

ناقشَـهم اللهُ فـي ذَلِـكَ، وردَّ علـيهم فـي غيـرِ موضـعٍ مـن القُـرْآنِ كقولـهِ: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (١).

٢/٥/٥- أَمَّا شُبْهَةُ الـمُسْتَشْرِقينَ فَإِنَّهُ لم يُذكَرْ في الآياتِ المكيَّةِ أَنَّ إِبْرَاهِيم هُو وَاضِعُ البَيتِ في حِينِ ذَكرَ في السُّورِ المدنيَّةِ. فالجَوابُ أَنَّنَا لا نُنْكِرُ أَنَّنَا لا نَجدُ في السُّورِ المكيَّةِ آيَةً تُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ واضِعُ قواعدِ البيتِ، في حينِ ذكرَ ذَلِكَ فـي آيـاتٍ مدنيَّـةٍ،؛ لكونـهِ عليه السلام مَـنْ أَحيَـا ذَلِـكَ الـوادي النَّائي غيرِ ذِي الزَّرْعِ، ووجَّهَ إليهِ ذُرِّيَّتَهُ، ودَعَا الله لهم بالأمنِ والثَّمراتِ؛ كمَا مرَّ (٢).

والسِّرُّ فـي عدمِ التَّصـريحِ بـذَلِكَ البنـاءِ فـي الآيـاتِ المكيَّـةِ أَنَّ إِبْـرَاهِيم لـيسَ أَوَّلَ بـانٍ لِلكَعبَـةِ، إِنَّمـا هـو مجَـددٌ لبنائِهـا ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾(٣)؛ وبالتَّـالي فـإِنَّ طبيعةَ بيانِ الأحكامِ والقَصَصِ تُبنَى عَلَى التَّدَرُّجِ الذي هُو سُنَّةُ الله في خَلقِهِ، ومن نَاحِيَةٍ أُخْرَى فإِنَّ إِحياءَ أَيِّ أرضٍ يسْتَوجِبُ أن يَذهب إليهَا مَن يَعْمرُها، ثم يبني بيتًا للعِبَادَة، فَذِكرُ القُرْآن بِناءَ الكَعْبةِ تابعٌ لذَلِكَ(٤).

وبنـاءً عَلَـى هَـذِهِ الأَدِلَّـةِ القاطِعـةِ، والبَـرَاهِينِ السَّـاطِعَةِ، مـن الآيـاتِ والحقائِقِ التَّارِيخيَّةِ، والحُجَجِ العَقْليَّةِ، يتَّضِحُ زيفُ شُبْهَةِ الـمُسْتَشْرِقينَ في اختلافِ القُرْآنِ المكّيّ عن المدنيّ في قصَّةِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلامويسقطُ طَعنُهم في

(١) النجار، قصص الأنبياء، ٩٩، والآية رقم ٢٨ من سورة الأعراف.
(٢) سبق ذكر الآيات، سُورَة إِبْرَاهِيم، الآيات،٣٥-٤٠.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٧.
(٤) لقمان، المستشرقون والقرآن الكريم، ١٣٩، ١٤٠.

القَصَصِ القُرْآنِيّ، ويثبت أنَّهُ لا تَناقُضَ فيهِ، بَلْ يكملُ بَعْضُهُ بَعْضًا ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ (١).

وأما شُبْهَةُ وجودِ تناقضٍ في آياتِ القُرْآنِ التي أثارَها المُسْتَشْرِقُ الهُولَندِيُّ سنوك هرخرونيه،وتبعهُ فيها المُسْتَشْرِقُ فنسنك، وفيها يدّعي اعتقادِ النّبيّ ﷺ أوَّلَ الأمرِ أنَّ يعقوبَ ابنٌ لإبْرَاهِيمَ (٢)﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ (٣) ويبادرُ المفسِّرونَ إلى أَيضَاحِ أنَّ كلمةَ "وَراءَ" في الآيَةِ تشيرُ إلى الحفيدِ وفقًا للاستعمالِ العربيّ، ووردَ في القصِّ القُرْآنِيّ أنَّ يعقوبَ لما حضَرهُ الموتُ أَوْصَى بَنِيهِ بالتَّمسُّكِ بملَّةِ إبْرَاهِيمَ، ونزلَ الوَحيَ عَلَى يعْقُوبَ كبَاقِي آبائهِ ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ (٤).

يحاول المُسْتَشْرِقُ (سنوك) أنْ يضربَ القصَّ القُرْآنِيَّ بعضَهُ ببَعْضٍ، وأنْ يجعَلَ بينَ آياتهِ تَضَارُبًا وتَنافيًا؛ ليصلَ إلى أنَّ القُرْآنَ من عندِ محمد ﷺ لا من عندِ الله تَعَالَى، فيدَّعي أنَّ محمدًا كان يرَى أول الأمر أنَّ يعقوبَ هُو ابنُ إبْرَاهِيمَ، ويستدلّ عَلَى ذَلِكَ بمعنى الآيةِ ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾ فبشَّرناها بإسحاقَ ويعقوبَ ابنينِ لها من إبْرَاهِيم إلَّا أَنَّ يَعقُوبَ أصغرُ مِن إسحاقَ، ثمَّ رأَى بعدَ ذَلِكَ أنَّهُ ابنٌ لإسحاقَ، وأنَّ إبْـرَاهِيمَ جـدُّه بـدليلِ ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٢) سنوك هرخرونيه Hetmek Kansenefesn ، دائرة المعارف الإسلامية،٣٢/١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٣٣.

(٤)سورة البقرة، الآية: ١٣٠.

ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾[1]. وإنَّما ذَهبُوا إلى أنَّ اعتقادَ بنوَّة يعقوبَ لإبْرَاهِيم كانَ أوَّل أمرِه، ثمَّ تغيَّر اعتقادُهُ أخيرًا؛ لأنَّ الآيةَ التي تدُلُّ عَلَى أنَّ يعقُوبَ ابنٌ لإبْرَاهِيم مكيَّةٌ، والآيَةَ التي تدُلُّ عَلَى أنَّهُ ابنٌ لإسحَاقَ مدنيَّةٌ، والمكيُّ قبلَ المدنِّي[2]. ويُمْكِنُ الرَّدُّ مِنْ عدَّةِ أوجهٍ؛ كالآتي:

أ- تدلُّ الآياتُ المكيَّةُ عَلَى أنَّ مُحمدًا ﷺ نزلَ عليهِ القُرْآنُ الكَرِيمُ من أوَّلِ الأمرِ ليخبرَهُ أنَّ يعقوبَ ابنٌ لإسحاقَ، وأنَّ جدَّهُ إبْرَاهِيمُ، ومن هَذِهِ الآياتِ المكيَّةِ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾[3]، وغيرها في سورة إبراهيم [4]، وفي الذّارياتِ المكّيَّةِ جاءتِ البُشرَى بولدٍ واحدٍ ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ﴾[5]؛ وهكذا تدُلُّ الآيَاتُ المكيَّةُ عَلَى أنَّ محمدًا ﷺ كانَ يعتقدُ من أوّلِ الأمرِ أنَّ يعقوبَ هُو ابنُ إسحاقَ، وأنَّ جدَّهُ إبْرَاهِيمُ.

(١) سُورَة البقرة، الآية: ١٣٣.

(٢) من تعليق محمد عرفة علي مادة إسرائيل، دائرة المعارف الإسلامية،٣/٧٢٣.

(٣) سورة يوسف الآيات: ٣-٦.

(٤) ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾ سورة إبراهيم، الآية: ٣٩.

(٥) سورة الذاريات الآية ٢٨.

ب- أن ما جاءَ في الآيةِ لا يُفهَمُ منهُ لغويًّا أنَّ يعقوبَ ابنٌ لإبْرَاهِيم، لكنَّ قصورَ فهمِ سنوك للغةِ القُرْآنِ أَفهمه هَذَا الوجهَ المعكوسَ، لكنَّ المفسِّرينَ فهمُوها عَلَى وجهِها الصّحيحِ ؛ فـ"من وراء إسحاق" تعربُ خبرًا مقدَّمًا، و"يعقوبُ" تأتي مبتدأً مؤخَّرًا، وجِيء بهَذِهِ الجملةِ هنا ليُؤَكّدَ لإبْرَاهِيمَ أَنْ سيَبقَى لهُ عقبٌ، وَسيُولدُ لهُ، ولولدهِ من بعدهِ، ورُويَ أَنَّهُ قيلَ لهُ: أهَذَا ولدُك؟ فقالَ عليه السلام: نعَمْ، مِنَ الوراءِ، وكانَ ولدَ ولدهِ[1].

ومن ثَمَّ؛ نَجِدُ أَنَّ هَذِهِ الآيةَ تُوافِقُ جَميعَ الآيَاتِ التي تَنقلُ لنَا هَذِهِ الحقِيقةَ، ولا تتَنَاقَضُ مَعَ آيَاتٍ أُخْرَى من القُرْآنِ الكَرِيمِ، كَمَا حَاوَلَ سنوك أَنْ يثبتَ ذَلِكَ.

ج- أَنَّهُ حَتَّى لَوْ تَمَّ التَّصْرِيحُ بأُبُوَّةِ إِبْرَاهِيمَ لِيَعقوبَ، فإنَّ مَن لهُ علمٌ باللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ يعرفُ أَنَّهُ من الجائزِ أَنْ يُسَمَّى الجدُّ أَبًا لكونهِ الأصلَ، وقد ورد نظِيرُهُ عَلَى لسانِ يعقوبَ لِوَلَدِهِ يوسفَ عليهما السَّلامُ؛ إذ سمَّاهما أبوينِ ليوسفَ، مو عونهما جدّيهِ [2].

وهكذا يتّضحُ لنا أنّ شبهاتِ المستشرقينَ حولَ القصصِ القُرآنيّ يمكنُ ردُّها إلى ثلاثَةِ أسبابٍ رئيسَةٍ؛ هي:

أ- التّعصُّبُ المقيتُ، وكراهيَةُ الإسلامِ، والقرآنِ الكريمِ والنّبيّ ﷺ، وحاولة النّيل من الإسلامِ بكلّ شبهةٍ ممكنةٍ.

ب-الاعتمادُ على كُتبِ العقائدِ الأخرى، وما نالها من تحريفٍ وزيفٍ، وما دسّها الأحبارُ والقساوسةُ من تدليسٍ وإضافاتٍ من كتبٍ أخرى، تجمع الكثيرَ من الأباطيلِ والخُرافَاتِ.

ج-الجهلُ بقواعدِ اللغة العربيّةِ وتراكيبِها وصرفها ومعجمها ودلالاتها.

---

(١) تعليق الأستاذ محمد عرفة على مادة إسرائيل ،٣/٧٢٤.

(٢) يُنْظَرُ: الدقيقي، شُبْهَات المستشرقين حول العقيدة الإسمية، ،٥٢١، محفوظة بمكتبة كلية أصول الدين، طنطا، تحت رقم (٣٨٨) وهي غير منشورة.

الخاتمة

تسعى هذه الدّراسةُ المعنونةُ بـ"شُبْهَاتُ الـمُسْتَشْرِقِينَ حَوْلَ قَصَصِ القُرْآنِ الكريمِ، والتَّمثِيلُ مِن قصَّةِ إِبْرَاهِيم"، أن تكونَ لبنةً في مواجهةِ هَذِهِ الحروبِ الاستشراقيَّةِ المتجدّدَةِ ضِدَّ الدِّينِ الحَنِيفِ؛ وقد أَخَذَتْ أَشْكَالًا مُخْتَلِفَةً مِن حَيثُ الطَّعْنُ والتَّجْرِيحُ وَسُوءُ الفَهْمِ؛ لا سيَّما وقدْ تَزايدَتْ تأثيرَاتُهُ النَّافذَةُ في الثّقافةِ الإِسْلَامِيَّةِ المُعَاصِرَةِ، بحسبِ أَهْدَافِهَا ومُنطَلَقَاتِهَا؛ لِذَا فلم يكنْ لَنا أنْ نَتَجَاهَلَ هذهِ الحملاتِ المتَجَدّدَةِ مع ما سبقَ من أبحاثٍ مختلفةٍ متنوّعةٍ فَكَانَ لَا بُدَّ لَنَا مِن مُواجهَةِ هذهِ الحروبِ الشّعوَاءِ بالبَحْثِ العِلْمِيّ الموضُوعيّ، لدَرءِ هذهِ الشُّبْهَاتِ المتجدّدةِ عقلًا ونقْلًا، والتَّصَدِّي لِمَا ينجمُ عنْ هَذِهِ الشُّبْهَاتِ، وتَفْنِيدِها، وقد آثرتِ الدراسة أن تختارَ قصّة إبراهيم الخليل أبي الأنبياءِ عليه السلام لتكونَ مثالًا على الدَّوافعِ والطُّرقِ والنّتائجِ.

١- ثمَّةَ شُبْهَةٌ مركزيَّةٌ للمُسْتَشْرِقِينَ حَوْلَ قَصَصِ القُرْآنِ، هي أَنَّها من تأليفِ النّبيّ ﷺ.

٢- الهدفُ من هذه الشّبهةِ هو التّشكيكُ في القرآنِ كلّهِ ومن ثمّ التّشكيكُ في الإسلامِ والنُّبوّةِ.

٣- من أهمّ أسباب الشّبهاتِ اعتمادِ المتعصّبينَ من المستشرقينَ على كتبِ اليهودِ والنّصارى، وهي كتبٌ محرّفة، فضلًا عن كتُبِ الشُّروحِ للأحبارِ والرُّهبانِ، وكلّها تزييفٌ وأباطيلُ وأساطيرُ.

٤- ومن أسبابِ وقُوعِ الشُّبهاتِ، أيضًا، جَهلُ هؤلاءِ المستَشرقينَ باللُّغَةِ العربيَّةِ، وقواعدِها، وبَلَاغَتِها، وطرائقِ تعبيرها، وَفْقَ أسْرَارِها الخاصَّةِ.

٥- من الشّبهاتِ التي أثاروها في قصة مريم مُحَاوَلَةُ إثباتِ أَنَّ القُرْآنَ أَخْطَأَ حينَ جَعَلَ النَّصَارَى يتَّخِذُونَ مِن مَرْيَمَ إلهًا، ويُخطِّئُونَ القَصَّ القُرْآنِيَّ في تَسْمِيةِ والدِ مَرْيَم (عِمْرَانَ)، مُرجِعًا هَذَا إلى الخلْطِ بَينَهُ وبينَ والدِ مُوسَى؛ فقدِ افترضَ أنَّ اسمَ عِمْرَانَ الذي يقابلهُ عِمْرَام (Amram)في

الإنْجِيلِ، وقد انتهوا في ذلكَ إلى أنّ النّبيّ ﷺ استقى قصصهِ من السّماعِ والقراءَةِ وإعمالِ الخيالِ في سردِهِ.

٦- قمنا بردّ شبهةِ أنْ يكونَ القصُّ من تأليفِ النّبيّ ﷺ بأكثرَ من دليلٍ منها؛ لم يَثبُتْ زَعمُهُ أنَّ مُحتوياتِ القُرْآنِ مُقتبَسَةٌ منَ اليَهُودِ والنَّصَارَى والفُرْسِ؛ لأَنَّ لُغتَهُم أَعْجَميَّةٌ، ولُغَةَ القُرْآنِ عَرَبِيَّةٌ مُعْجِزَةٌ، ومخالفةَ القُرْآنِ الكَرِيم في عدَّةِ مواطنَ لرأيِ النَّبِيّ ﷺ الشَّخصيّ ولِطَبعهِ الخاصِّ من أقوى الأَدِلَّةِ عَلَى أنَّ الوحيَ القُرْآنِيّ ليسَ من تأليفِهِ، ولو كانَ القُرْآنُ مِن تأليفِهِ ﷺ لَكَانَ أعظمَ شَرفٍ يَنْسبُهُ لنَفْسِهِ لما فيهِ مِن إعْجَازٍ عنِ الإتيان بمثْلِهِ

٧- ادّعوا أنَّ بالقَصِّ القرآنيّ أَخْطَاءً تَارِيخِيَّةً، وتحريفاتٍ في أسماءِ الشَّخْصِيَّاتِ والأَنْبِيَاءِ والرُّسُلِ، ومردُّ شبهاتهم؛ كما أثبتنا بالبحثِ أنَّهم يجهلونَ طبيعَةَ الحياةِ العربيّة من مناداةِ الجدّ بالأبِ، وتسميتهم الجدّ أبًا؛ حتّى لو كان الجدُّ الأعلى، واعتمادهم على فهم العهدين القديم والجديد وشروحهما، واتّخاذهما حجّة على القرآن الكريمِ، مع ثقتنا بما أصابَ كتبَهم من تحريفٍ؛ كما اعترفَ بعضُ علمائهم، ونقلنا عنهُ، وبقاء النّصّ القرآنيّ صحيحًا ثابتًا بلا أدنى تحريفٍ أو تلبيسٍ في النّصّ أو التّفسيرِ.

٨- مثَّلنا بطرائقِ شُبهاتِ المستَشرقينَ، ودوَافعِهِم، ونتائجهم بقِصّةِ الخليلِ أبي الأنبياءِ عليه السلام، وما أَثاروهُ فيها من شبهاتٍ، وأَرجَعتُ حِرْصَهُم على ذلكِ لِكَونِ قصَّتُهُ هي قصّةَ الإمَامَةِ للمسلمينِ والنَّواةِ الثَّقَافِيَّةِ لقصصِ الأنبياءِ طُرًّا.

٩- كانتْ أَهمُّ الشّبهاتِ حولِ قصّةِ خليلِ الرّحمنِ هي إنكارَ الحنيفيَّةِ بل إنكارَ وجُودِهِ، وعلاقته بإسماعيلَ ولدِهِ، وشُبهةُ اليَهُوديَّةِ، وأنّ النَّبيّ ﷺ اِعتصَمَ بيَهُوديَّةِ إبراهيمَ ليُوَاجهَ بها عَدَاوةَ قَومِهِ، كَما يرَى بعضُهم أنَّ السُّورَ المكيَّةَ كلَّها لمْ تُثبتْ صِلَةً لإبراهيمَ بإسماعيلَ، معَ أنَّ القرآنَ

يذكُرُ مُساعدةَ إسماعيلَ لأبيهِ في قصّة بناءِ البَيتِ المعْمُورِ، وَيَزعمُ آخرون أنَّ إبرَاهيمَ لم يَذْهَبْ إلى مَكَّةَ، وأنَّ الإسلَامَ ليسَ دِينًا، ولا صِلةَ لهُ بملَّةِ إبرَاهيمَ الذي يَنفِي أنَّهُ لمْ يَرفَعْ قَواعِدَ البَيتِ، وليسَ لكلّ ذلكَ دليلٌ في السُّورِ المكّيَّةِ.

١٠-ردّنا على كلّ هذهِ الشّبهاتِ نقلًا وعقلًا بما يفي بدحضِ شبهاتهِم لكلّ منِ اتّخذَ الموضوعيَّةَ طريقًا للبحثِ العِلمِيّ.

- أَهَمُّ المصَادِرِ والمرَاجِعِ

- الآباء اليسوعيين، الكتاب المقدس، ،طبعة الجزويت، القاهرة، ١٨٨٢م.
- آل سعود، نايف بن ثنيان بن محمد، المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية في العالم العربي، دار أمية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ.
- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ط٦، ١٩٩٥م.
- الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٨م.
- الأميري، أحمد البراء، إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم، دار المنار، جدة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
- الأميري، فقه دعوة الأنبياء، دار القلم، دمشق،١٤٢٠هـ.
- ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي ، قصص الأنبياء والرسل كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور، مطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، ١٩٧٥م.
- باجودة، حسن محمد، تأملات في سورة مريم، دار الاعتصام، القاهرة،١٩٧٨م.
- ابن باديس، عبدالحميد، العقائد الإِسْلَامية، دار الفتح الشارقة،١٩٩٥م.
- بارت، رودي، الدّراسات العربيَّة والإِسْلَاميَّة في الجامعاتِ الأَلْمَانِيّة، ترجمة: مصطفى ماهر، المركز القومي للترجمة، القاهرة،١٩٧٠م.
- الباقلانيّ، أبو بكر، إعجاز القرآن، طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة،١٣٩٨هـ.
- البُخَارِيّ، صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.
-
- بدوي، الدفاع عن القرآن ضد منتقديه، الدار العالمية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧م.

- بركات، هاني محمد يونس، الاستشراق والتَّربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٣م.
- البغويّ، محمد الحسين بن مسعود الفراء، معالم التنزيل، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٦م.
- بلبول، عبده إبراهيم، القصص القرآني، رسالة ماجستير بكلية أصول الدين، القاهرة،١٩٨٦م.
- بهجت، أحمد، أنبياء الله، دار الشروق، القاهرة، ط٦ ، ١٩٧٩م.
- الجرجاني، السيد الشريف محمد، حاشيته على الكشاف، دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠١٥م.
- الجرمي، إبراهيم محمد، معجم علوم القرآن، دار القلم، دمشق، ٢٠٠١م.
- الجندي، أنور، مؤلفات في الميزانِ، دار الشؤون الإسلامية، أبو ظبي،١٩٨٤م.
- جولد تسيهر، إجنتس، مذاهب التفسير الإِسْلَامي، ترجمة: عبدالحليم النجار، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٥م.
- حسان بن ثابت، ديوانه، تحقيق: عبآ مهنا، دار المعرفة، بيروت،١٩٩٤م.
- حسين، طه، على هامش السيرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، المجلد ٣، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م.
- حمودة ،من زلات المستشرقين، بحث في مجلة رسالة الإسلام القاهرية، السنة العاشرة، العدد الأول، عام ١٩٥٨م، رجب ١٣٧٧هـ.
- أبو حيَّان، الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٣م.
- الخربوطليّ، علي حسن، المستشرقون والتاريخ الإِسْلَاميّ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، العدد (١١١)، السنة العاشرة، جمادى الآخرة، ١٣٩٠هـ- أغسطس ١٩٧٠م.

- الخطيب، عبدالكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٥م.
- الخولي، جمعة علي، تاريخ الدعوة، طبعة دار الطباعة المحمدية، القاهرة،١٩٨٤م.
- دراز، النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن الكريم،دار طيبة للنشر والتوزيع،القاهرة،ط٢ ،٢٠٠٠م.
- الدقيقي، شُبْهَات المستشرقين حول العقيدة الإسمية، محفوظة بمكتبة كلية أصول الدين، طنطا، تحت رقم (٣٨٨) وهي غير منشورة.
- رضا، معجم متن اللُّغَة،دار مكتبة الحياة، بيروت،١٩٥٨م.
- رودنسون، مكسيم، تراث الإسْلَام، ترجمة: محمد زهير، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨م.
- الرويني،عادل أحمد صابر، تأملات في سورة مريم، جائزة دبي للقرآن الكريم، دبي،٢٠١٢م.
- زقزوق، محمود، الاستشراق والخلفية للصّراع، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة،١٩٨٩م.
- الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض،١٩٩٨م.
- سبع ، توفيق محمد، قيم حضارية في القرآن الكريم، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٢م.
- ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت،١٩٨٨م.
- سعيد، إدوارد، الاستشراق(المفاهيم الغربية للشرق)، ترجمة: محمد عناني، دار رؤية، القاهرة،١٩٩٥م.

- سمايلوفتش، أحمد، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي،بيروت،١٩٩٨م.
- سوسة، أحمد، مفصل العرب واليهود في التاريخ، الوراق للنشر والتوزيع، بغداد،٢٠١٤م.
- أبوسيف، عبدالله بن علي، الخليل إبراهيم في الكتاب والسُّنَّة ودعواته وهجراته وردّ شُبه المستشرقين، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٩٧٩م.
- السّيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط٤، ٢٠٠٠م.
- السَّيوطي، جلال الدين، الدر المنثور، طبعة دار الفكر، بيروت، طبعة عام ١٩٩٣م.
- الشعراوي، معجزة القرآن، دار أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٨٨م.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير، عالم الكتب،بيروت،١٩٩٠م.
- الصغير، محمد حسين علي المستشرقون والدّراسات القرآنية، الصغير، دار المؤرخ العربي، القاهرة،١٩٩٩م.
- الطَّبريّ، أبو جعفر محمد بن جرير، الجامع في تفسير القرآن، ط دار المعرفة، بيروت،١٩٨١م.
- الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، (ط ٢)،١٩٩٤م.
- عبدالجبار، تنزيه القرآن عن المطاعن، تحقيق: أحمد السايح، مكتبة النافذة، القاهرة،٢٠٠٤م.
- عبد اللطيف، ياسر محمد ، نافذة على الاستشراق، النشأة والأهداف، حنون للطباعة، القاهرة ٢٠٠٣م.

- العبدوليّ، تهامي، النبي إبراهيم في الثقافة العربية، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا،٢٠٠١م.
- عدنان، وزان، الاستشراق والمستشرقون، وجهة نظر، سلسلة دعوة الحق، رقم (٢٤)، السنة الثالثة، مكة المكرمة، إدارة الصحافة والنشر، رابطة العالم الإسلامي، ربيع أول ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- العقَّاد، الإِسْلَام دعوة عالمية، دار نهضة مصر، القاهرة، ط٢٠٠٥،٤م.
- عوض، إبراهيم، دائرة المعارف الإِسْلَاميَّة الاستشراقيَّةِ (أباطيل وأضاليل)، مكتبة البلد الأمين، القاهرة، ١٩٩٨م.
- العليان، عبد الله علي العليان، الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف، المركز الثقافي العربي، بيروت،١٩٩٩م.
- الغمراوي، محمد أحمد، الإِسْلَام في عصر العلم (خلق الإنسان بين الطبّ والقرآن) ، مطبعة السعادة، القاهرة،١٩٧٢م.
- فؤاد، عبد المنعم، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- فنسك، دائرة المعارف الإسلاميَّة، ترجمة: أحمد الشناوي وآخرين، وزارة المعارف، القاهرة،١٩٧١م.
- الفيروز آبادي، القاموس المحيط ، طبعة الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير، الفيومي، دار المعارف، القاهرة، (ط ٢)،١٩٨٦م.
- قام ترتن، البراهين العقلية والعلمية في صحة الديانة المسيحية، ترجمة: حبيب سعيد، مطبعة النيل، القاهرة،١٩٩١م.
- ابن كثير ، البداية والنهاية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة،١٩٨٩م.

- ابن كثيرٍ، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: مصطفى السيد محمد وآخرين، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- ابن كثير ، قصص الأنبياء، طبعة دار نهر النيل، القاهرة،١٩٩٠م.
- لقمان، يوسف، المستشرقون والقرآن الكريم، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية أصول الدين والدعوة القاهرة،١٩٧٦م .
- مجمع اللُّغَة العربية، المعجم الوجيز، مطبوعات مجمع اللُّغَة العربية، القاهرة،١٩٩٨م.
- مجمع اللُّغَة العربية، المعجم الوسيط، مطبوعات مجمع اللُّغَة العربية، القاهرة،٢٠٠٣م.
- محمد، إسماعيل عليّ، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، مطبعة الإيمان المنصورة، ١٩٩٨م.
- محمود، عبد الحليم، الرسول ﷺ لمحات من حياته ونفحات من هديه، سلسلة البحوث الإسلامية، الكتاب الرابع عشر، إصدار مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر، ١٩٧٠م.
- مخلوف، كلمات القرآن، تفسير وبيان، دار ابن حزم، بيروت،١٩٩٨م.
- مرجان، محمد مجدي المسيح إنسان أم إله، منشورات دار النهضة العربية، مطبعة دار الهنا القاهرة،٢٠٠١م.
- مرزوق، عبد الصبور، القرآن والرسول مقالات ظالمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ع ٣١، ١٩٩٨م.
- مسلم، ابن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ، السعودية، ١٩٨٠م.
- مفلي، محمد البشير، مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة،(د.ت).

- ابن نبي ، مالك، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، بيروت، دار الإرشاد، ١٩٦٩م.
- النجار، عبد الوهاب، قصص الأنبياء، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط٢ ،١٩٨٩م.
- النسفيّ، تفسيره، طبعة عيسى الحلبى، القاهرة،١٩٧٨م.
- نقرة ، التهامي، القرآن والمستشرقون (مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية)، مكتب التربية العربي لدول الخليج،تونس،١٩٨٥م.
- هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان، موجز دائرة المعارف الإسلامية، إعداد وتحرير: إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي، عبد الحميد يونس، مركز الشارقة للإبداع الفكريّ، الشارقة،١٩٩٨م.
- وجدي، محمد فريد، الإسلام في عصر العلم، دار الكتاب العربي، بيروت،(د.ت).

References :

- alaba' alyasueyiyna, alkitaab almuqdasi, ,tabeat aljazawiti, alqahirati, 1882m.
- al saeud, nayif bin thanyan bin muhamad, almustashriqun watawjih alsiyasat altaelimiat fi alealam alearabii, dar 'umiat lilnashr waltawzie, alqahirati, ta1, 1414h.
- abn al'athira, alkamil fi altaarikhi, dar sadir, bayrut, ta6, 1995m.
- al'asfahani, alraaghibi, almufradat fi gharayb alqurani, tahqiqu:muhamad sayid kilani, dar almaerifati, bayrut, 2008m.
- al'amiri, 'ahmad albara', 'iibrahim ealayh alsalam wadaewatuh fi alquran alkarimi, dar almanar, jidat, altabeat al'uwlaa, 1986m.
- al'amiri, fiqh daewat al'anbia'i, dar alqalami, dimashiq,1420h.
- abin 'iiasi, muhamad bin 'ahmad alhanafiu , qisas al'anbia' walrusul kitab badayie alzuhur fi waqayie aldihur, matbaeat almashhad alhusayni, alqahirati, 1975m.
- bajudat, hasan muhamad, ta'amulat fi surat mirimi,dar aliaetisami, alqahirat,1978m.
- abin badis,eibdalhamidi, aleaqayid al'iislamyt,dar alfath alshaariqati,1995m.
- barti, rudi, alddrasat alerbyat wal'iislamyat fi aljameat al'almanit, tarjamatu: mustafaa mahir, almarkaz alqawmia liltarjamati, alqahirat,1970m.
- albaqlany, 'abu bakr, 'iiejaz alqurani, tabeat mustafaa albabi alhalbi, alqahirati,1398hi.
- albukhari, sahih albukhari, muhamad bin 'iismaeil albukhariu, dar alfikri, birut, 1993m.
-
- bdui, aldifae ean alquran dida muntaqidiihi,aldaar alealamiat lilnashr waltawzie, alqahirati, 1987m.
- barkatu, hani muhamad yunus, aliastishraq walttarbyt, dar alfikr liltibaeat walnashr waltawziei, bayrut, 2003m.

- albghwy, muhamad alhusayn bin maseud alfara', maealim altanzili, tahqiqu: khalid eabd alrahman aleaka, wamarwan swar, dar almaerifati, bayrut, 1986m.
- bilbul, eabduh 'iibrahim, alqasas alqurani, risalat majistir bikuliat 'usul aldiyn, alqahirati,1986m.
- bahajat, 'ahmadu, 'anbia' allahi, dar alshuruqi, alqahirati, ta6 , 1979m.
- aljirjani, alsayid alsharif muhamad, hashiatuh ealaa alkishafi, dar alkutub aleilmiati, birut,2015m.
- aljirmi, 'iibrahim muhamad, muejam eulum alqurani, dar alqalami, dimashqa, 2001m.
- aljindi, 'anwar, mualafat fi almyzani, dar alshuwuwn al'iislamiati, 'abu zabii,1984m.
- juld tsihir, 'iijntis, madhahib altafsir al'iislamy,trjmt: eabdalhalim alnajar, maktabat alkhanji, alqahirati, 1955m.
- hasan bin thabitu, diwanuhu, tahqiqu:eba mihna, dar almaerifati, birut,1994m.
- hsin, taha, ealaa hamish alsiyrati, dar alkitaab allubnani, bayrut, almujalad 3, altabeat al'uwlaa, 1973m.
- hmudat ,min zalaat almustashriqina, bahath fi majalat risalat al'iislam alqahiriata, alsanat aleashirati, aleadad al'awala, eam 1958m, rajab 1377h.
- 'abu hyaan, al'andalsi, albahr almuhayti, tahqiqu: alshaykh eadil eabd almawjud wakhrin, dar alkutub aleilmiati, bayrut , 1993m.
- alkhrbwtly, eali hasani, almustashriqun waltaarikh al'iislamy, almajlis al'aelaa lilshuyuwn al'iislamiati, alqahirati, aleadad (111), alsanat aleashiratu, jamadaa alakhirt, 1390hi- 'aghustus 1970m.
- alkhatib, eabdalkirim, alqasas alquraniu fi mantuqih wamafhumihi, dar almaerifati, birut, 1975m.
- alkhuli, jumeat ealay, tarikh aldaewati, tabeat dar altibaeat almuhamadiati, alqahirati,1984m.
- dirazi, alnaba aleazimi, nazarat jadidat fi alquran alkarimi,dar tiibat lilnashr waltawziei,alqahrati,ta2 ,2000m.

- aldaqiqi, shubhat almustashriqin hawl aleaqidat al'iismiati, mahfuzat bimaktabat kuliyat 'usul aldiyn, tanta, taht raqm (388) wahi ghayr manshuratin.
- rida, muejam matn alllughat,dar maktabat alhayati, bayrut,1958m.
- rudinsun, maksim, turath al'iislam, tarjamatu: muhamad zuhayr, silsilat ealam almaerifati, alkuayti, 1978m.
- alruyini,eadil 'ahmad sabir, ta'amulat fi surat marim, jayizat dubay lilquran alkarim, dibi,2012m.
- zaqzuqa, mahmud, aliastishraq walkhalfiat llssrae, tabeat almajlis al'aelaa lilshuyuwn al'iislamiati, alqahirati,1989m.
- alzamakhshari, mahmud bin eumra, alkashaaf ean haqayiq ghawamid altanzil waeuyun al'aqawil fi wujuh altaawili,tahqiqi: eadil eabd almawjudi, waeali muhamad mueawada, maktabat aleibikan, alriyadi,1998m.
- sabe , tawfiq muhamadi, qiam hadariat fi alquran alkarimi, majamae albuhuth al'iislamiati, alqahirati, 1972m.
- abn saedu, altabaqat alkubraa, dar bayrut liltibaeat walnushri, bayrut,1988m.
- saeidi, 'iidwardi, aliastishraqi(almafahim algharbiat lilsharqi), tarjamatu: muhamad eanani, dar ruyati, alqahirati,1995m.
- smayluftish, 'ahmadu, falsafat aliastishraq wa'atharuha fi al'adab alearabii almueasiri, dar alfikr alearbi,birut,1998m.
- susatu, 'ahmadu, mufasal alearab walyahud fi altaarikhi, alwaraaq lilnashr waltawzie, baghdad,2014m.
- 'abusif, eabdallah bin eulay, alkhalil 'iibrahim fi alkitaab walssnnat wadaeawatih wahujaratih wrd shubh almustashriqina, risalat majistir, kuliyat alsharieat waldirasat al'iislamiati, jamieatan 'um alquraa, 1979m.
- alssywty, al'iitqan fi eulum alqurani, tahqiqu: mustafaa dib albugha, dar abn kathir, dimashqa, ta4, 2000m.
- alssaywty, jalal aldiyn, aldir almanthur, tabeat dar alfikri, bayrut, tabeat eam 1993m.

- alshaerawi, muejizat alqurani, dar 'akhbar alyawma, alqahirati, 1988m.
- alshukani, muhamad bin ealii bin muhamadi, fath alqudiri, ealim alkitbi,birut,1990m.
- alsaghir, muhamad husayn ealii almustashriqun walddrasat alquraaniatu, alsaghira, dar almuarikh alearabii, alqahirati,1999m.
- alttabry, 'abu jaefar muhamad bin jirir, aljamie fi tafsir alqurani, t dar almaerifati, birut,1981m.
- altbry, tarikh al'umam walmuluka, tahqiqu: muhamad 'abu alfadl 'iibrahim, dar suydan, birut, (t 2),1994m.
- eabdaljabar, tanzih alquran ean almataeini, tahqiqu: 'ahmad alsaayihi, maktabat alnaafidhati, alqahiratu,2004m.
- eabd allatifi, yasir muhamad , nafidhat ealaa aliastishraqi, alnash'at wal'ahdafi, hanuwn liltibaeati, alqahirat 2003m.
- alebdwly, tahami, alnabii 'iibrahim fi althaqafat alearabiati,dar almadaa lilthaqafat walnashri, surya,2001m.
- eadnan, wazan, alaistishraq walmustashriquna, wijhat nazar, silsilat daewat alhaq, raqm (24), alsanat althaalithat, makat almukaramati, 'iidarat alsahafat walnashri, rabitat alealam al'iislami, rabie 'awal 1404h - 1984m.
- aleqqad, al'iislam daewat ealamiatun, dar nahdat masiri, alqahirati, ta4,2005m.
- eawad, 'iibrahim, dayirat almaearif al'iislamyat alastshraqya ('abatil wa'adalil), maktabat albalad al'amini, alqahirati, 1998m.
- aleilyan, eabd allah eali aleulyan, aliastishraq bayn al'iinsaf wal'iijhafi, almarkaz althaqafia alearabia, birut,1999m.
- alghamarawi, muhamad 'ahmadu, al'iislam fi easr aleilm (khalaq al'iinsan bayn altb walqurani) , matbaeat alsaeadati, alqahirati,1972m.
- finski, dayirat almaearif al'islamyat, tarjamatu: 'ahmad alshinawi wakhrin, wizarat almaearifi, alqahiratu,1971m.

- alfiruz abadi, alqamus almuhit , tabeat alhayyat almisriat lilkitabi, alqahirati, 1400h - 1980m.
-
- alfiumi, 'ahmad bin muhamad bin ealii almaqrii almisbah almunir fi ghurayb alshshrh alkabiri, alfiumi, dar almaearifi, alqahirati, (t 2),1986m.
- qam tartan, albarahin aleaqliat waleilmiat fi sihat aldiyanat almasihiati, tarjamatu:habib saeid, matbaeat alniyl, alqahiratu,1991m.
- abn kathir , albidayat walnihayatu, matbaeat eisaa albabi alhalbi, alqahirati,1989m.
- abin kthyrin, tafsir alquran aleazimi, tahqiqu: mustafaa alsayid muhamad wakhrin, maktabat 'awlad alshaykh liltarathi, alqahirati, 2000m.
- abin kathir , qisas al'anbia'i, tabeat dar nahr alniyli, alqahirati,1990mi.
- luqman, yusif, almustashriqun walquran alkarim, risalat dukturah ghayr manshuratin, kuliyat 'usul aldiyn waldaewat alqahirati,1976m .
- majmae alllughat alearabiati, almuejam alwujizi, matbueat majmae alllughat alearabiati, alqahiratu,1998mi.
- majmae alllughat alearabiati, almuejam alwasiti, matbueat majmae alllughat alearabiati, alqahiratu,2003mi.
- muhamadu, 'iismaeil ely, aliastishraq bayn alhaqiqat waltadlili, matbaeat al'iiman almansurati, 1998m.
- mahmud, eabd alhalimi, alrasul ρ lamahat min hayatih wanafahat min hadyihi, silsilat albuhuth al'iislamiati, alkitaab alraabie eashra, 'iisdar majamae albuhuth al'iislamiat fi al'azharu, 1970m.
- makhluf, kalimat alqurani, tafsir wabayani, dar abn hazma, birut,1998m.
- marjan, muhamad majdi almasih 'iinsan 'am 'iilah, manshurat dar alnahdat alearabiati, matbaeat dar alhina alqahiratu,2001m.

- marzuqu, eabd alsaburi, alquran walrasul maqalat zalimatun, almajlis al'aelaa lilshuyuwn al'iislamiati, e 31, 1998m.
- muslima, abn alhajaaj alqushiri, sahih muslma, riasat 'iidarat albuhuth aleilmiat wal'iifta' , alsueudiat, 1980m.
- mafli, muhamad albashir, manahij albahth fi al'iislamiaat ladaa almustashriqin waeulama' algharba, markaz almalik faysal lilbuhuth waldirasat al'iislamiati, alrayad, 1422h-2002m.
- abn manzurin, lisan alearabi, dar almaearifi, alqahirati,(di.t).
- abin nabi , malik, 'iintaj almustashriqin wa'atharuh fi alfikr al'iislamii alhadithi, bayrut, dar al'iirshadi, 1969m.
- alnajar, eabd alwahaabi, qasas al'anbia'i, maktabat dar altarathi, alqahirati, tu2 ,1989m.
- alnsfy, tafsiruhu, tabeat eisaa alhalbaa, alqahiratu,1978m.
- naqarat , altahami, alquran walmustashriqun (manahij almustashriqin fi aldirasat alearabiat wal'iislamiati), maktab altarbiat alearabii lidual alkhalij,tunis,1985m.
- hutsma, t. wa. 'arnuld, r. basit, ra. hartman,mujaz dayirat almaearif al'iislamiati, 'iiedad watahriri:'iibrahim zaki khurshid, 'ahmad alshintnawi, eabd alhamid yunis,markaz alshaariqat lil'iibdae alfkry, alshaariqat,1998m.
- wjdi, muhamad firidi, al'iislam fi easr aleilmi, dar alkitaab alearabi, bayrut,(di.t).